المكتبة الثقافية

٥٨

بلاد النوبة

للدكتور عبد المنعم أبو بكر

وزارة
الثقافة والإرشاد القومي
الإدارة العامة للثقافة

أول ابريل ١٩٦٢

المكتبة الثقافية
٥٨

بلاد النوبة

للدكتور عبد المنعم أبو بكر

وزارة
الثقافة والإرشاد القومي
الإدارة العامة للثقافة

أول إبريل ١٩٦٢


الناشر
دار القلم
١٨ شارع سوق التوفيقية بالقاهرة
ت ٥٥٠٣٢ — ٧٧٧٤١

مقدمة

١

القديم في أذهان الناس سحر عجيب ، وكلما بعدت الشُقة وطال الزمن، احيط القديم بهالة من التقديس ، وذكر الناس أمجاده وأغفلوا أهواله ، ورسموا صورة لأجياله تغلب عليها الحكمة والاتزان ، وتشعُّ منها الطيبة والاعتدال في كل شيء ومن منا لا يتفاخر بأمسه يود أن يعرف عنه كل شيء قبل أن يهتم بما سيأتى به الغد،ومن منا لا يفخر بأجداده ويعتز بأقوالهم يجعل منها حكما يترنم بمغزاها ومعانيها ؟ .

وللشرق القديم بعامة ، ولمصر القديمة بخاصة ، سحر أيما سحر ، فهو موطن الإنسان الأول ، والمسرح الذى تطورت عليه حضارته ، وفى مصر استطاع الإنسان أن يقدم للبشرية حضارة زاهية أرسى قواعدها على أسس قوية ، فقد عرف المصرى القديم كيف يشاهد ويدرس ويحقق ، ولم يضيِّع

الفرصة فاستغل مشاهداته ودراساته وتحقيقاته فى القفز بحضارته إلى الأمام ، وليس من شك فى أن ما حققته المواهب المصرية والعقل المصرى فى كل مظهر من مظاهر الحضارة البشرية ليعتبر المثل الأعلى لكل نشاط بشرى فى أى بقعة من بقاع العالم القديم .

وإذا كنا اليوم نستطيع أن نتحدث بإسهاب عن كل مظهر من مظاهر الحضارة المصرية ، ونتتبع بدقة تطورات العلوم والفنون والآداب عند المصريين القدماء ، فلم تكن هذه حالنا منذ قرن ونصف . فالدراسات المصرية القديمة، بل فى استطاعتنا القول إن الدراسات القديمة بأسرها ، سواء منها ما اتصل بالعراق القديم أو بلاد الأناضول أو سوريا وفينيقيا ، بل ما اتصل ببلاد الإغريق نفسها ، كل هذه الدراسات لا ترجع فى نشأتها وتقدمها إلا إلى ما يقرب من قرنين ، أما العصور التى سبقت هذه الفترة فكانت لا تعرف من أمر هذه الحضارات إلا خرافات وأساطير ترسّبت على مر العصور فى أذهان الناس ، ثم بعض الأخبار التى وردت فى كتب نفر قليل من الرحالة الإغريق الذين خرجوا من بلادهم منذ منتصف القرن الخامس قبل الميلاد وجابوا هذه الأقطار وتفقدوا معالمها واستمعوا إلى ما كان يردّده بعض

الكهان فيها عما كان يجرى فى بلادهم فى الأزمنة القديمة ، أقصد بهؤلاء ، الكتاب الإغريق والرومان أمثال هيكاتيوس الملطى وهيرودوت الملقب بأبي التاريخ وسترابون وديودور الصقلى وبلوتارك .

وكلما مرت العصور وتعاقبت الأجيال نجد أن الماضى السحيق بما يحويه من حضارات مزدهرة يُنسى ويختفى لتحل محله أوهام تقوم على الخرافة ونسج الخيال ، وبقى الحال هكذا حتى النصف الثانى من القرن الثانى عشر ، حين كشف معول الحفار اللثام عن آثار كل من مدينتى بومپى وهيركو لانيوم فى إيطاليا ، وكان هذا الكشف بمثابة الشرارة الأولى التى أشعلت فى نفوس الناس فى العالم المتحضر جذوة حب الاستطلاع والتعرف على حضارة الأجداد فى كل مكان ، وسيطرت هذه الفكرة على عقول الناس إلى درجة أنه حدث نوع من التسابق الجنونى بين الأمم الأوروبية ، يهدف إلى جمع التحف القديمة وملء المتاحف بها . ونال مصر وآثارها من هذا التسابق الشىء الكثير . على أن فتح باب الدراسة والتنقيب فى مصر لم يكن خيرا كله ، ولعل خيره فى بادىء الأمر كان أقل بكثير من شره ، لأن علم الآثار فى اوائل القرن التاسع عشر أخذ يرتمى

فى احضان الدخلاء بعد أن اجتذب نفرا من المغامرين الذين اتخذوا من البحث عن الآثار مهنة للكسب والإثراء ، ولكن ما لبث أن قام نفر من العلماء الممتازين ينادون باتباع طرق علمية فى البحث والتنقيب ، وأنه لم يعد من سبيل للتردد فى تحديد المكان الذى يكشف فيه عن الأثر وأن يعمل الباحث على المحافظة على كل ما يعثر عليه من أشياء فى مكان تنقيبه دون تفرقة بين ما هو نفيس براق وبين ما هو عادى . واستقامت بعد ذلك الأبحاث العلمية الدقيقة وتهافتت البعثات من كل أمة على مصر ونقّبت وعملت وانتشرت فى كل مكان، وكانت النتيجة أن صار الآن فى استطاعتنا أن نتتبع الأحداث التاريخية منذ أن استقر المصرى الأول على شاطىء النيل ونسير معه خطوة فى مدارج التاريخ حتى آخر العصور ، بل ونستطيع أيضا أن نتعرف على كل مظهر من مظاهر حضارته اليانعة المزدهرة .

حدث هذا فى مصر ، ولكن بلاد النوبة بقيت مجهولة يخيّم الظلام على حضارتها حتى القرن العشرين . وليس من شك أن علم الآثار سيظل مدينا لمشروع إنشاء خزان أسوان وتعليته فى المرتين المتتاليتين ، بجميل لا يندى ، إذ لولا تنفيذ هذا المشروع الكبير لما كانت هناك فرصة للكشف عن الآثار الكثيرة التى

احتوتها أرض هذه المنطقة . ومنذ أن فكرت حكومة الجمهورية العربية المتحدة فى إنشاء السد العالى ؛ وهو المشروع الضخم الذى سيزيد من رفاهية البلاد ويفسح المجال أمام الشعب المصرى ليحيي حياة كريمة يحقق فيها كل فرد أهدافه وأمانيه فى الكسب الشريف والاطمئنان على مستقبله ومستقبل أسرته — اشتد الاهتمام بالتماس الوسائل الكفيلة بإنقاذ آثار النوبة والمحافظة عليها.

وسوف أتحدث فى الصفحات التالية عن بلاد النوبة المصرية، وعن تاريخها القديم، وحضاراتها التى استطاع الإنسان هناك أن يصل إليها على مر العصور ؛ ومن ثم أصف آثارها والمشروع الكبير الذى ستشترك فيه جهود العالم أجمع والذى يهدف إلى إنقاذ هذه الآثار على أساس أنها إنتاج بشرى لا يعنى أهل المنطقة فحسب ، بل يجب على جميع الشعوب المتحضرة أن ترى فيه إرثاً بشريا عليها أن تتكاتف للإبقاء عليه .





المدلول الجغرافى لبلاد النوبة

اعتدنا أن نطلق على المنطقة الواقعة إلى الجنوب من أسوان اسم بلاد النوبة ، كما يعتقد الكثيرون أن النوبيين يسكنون هـذه المنطقة حتى وادى حلفا ، الواقع أن مناطق النوبيين تمتد من أسوان فى الشمال حتى مدينة « الدّبة » فى الجنوب ، وهى تقع إلى الغرب من مروى وإلى الجنوب من دنقله .

ويتميز هذا الإقليم بأنه جزء من الصحراء العظمى التى تمتد من الشرق إلى الغرب فى الجزء الشمالى من إفريقيا . ويقع إقليم النوبة عند خط عرض ٢٣ شمالا ، وإذا كان النيل العظيم يخترقه ، إلا أن الأرض الصالحة للزراعة لا تتعدى شريطا ضيقـا على شاطئ النهر ، ومن أجل ذلك كان النيل ولا يزال هو كل شئ بالنسبة لسكان هذه المنطقة ، فهو وسيلتهم الرئيسية للانتقال من مكان إلى آخر ، كما أن الزراعة القليلة التى يمارسها الناس هناك تعتمد كل الاعتماد على مياهه ، والأسماك التى تصاد منه تعتبر الغذاء الرئيسى لهم .

وتقسم بلاد النوبة إلى قسمين، الشمالى: وهو جزء من الوطن المصرى ويمتد من شمال وادى حلفا إلى أسوان ويعرف بالنوبة السفلى، والقسم الجنوبى: ويمتد من وادى حلفا إلى بلدة « الدبّة » ويعرف بالنوبة العليا.

والنوبيون الحاليون نقسمهم عادة إلى المجموعات الآتية: —

أولا: « الكنوز » ويقطنون المنطقة الممتدة من أسوان فى الشمال إلى بلدة المضيق التى تقع إلى الشمال من وادى السّبوع، وينقسم الكنوز إلى جماعات صغيرة كثيرة العدد، وقد نزح بعضهم شمالا حتى إدفو واستقروا فى القرى المختلفة. وكلمة الكنوز ترجع فى الأصل إلى « كنز الدولة » الذى يقول عنه المقريزى فى كتابه: « البيان والإعراب عما فى أرض مصر من الأعراب » (القاهرة ١٩١٦ ص ٥٠) : إن الإمارة فى هذه المنطقة مُنحت فى عصر الفاطميين لأمير ينتمى إلى قريش اسمه: « أبو المكارم هبة الله » وحدث أنه استطاع أن يقبض على أحد الخارجين على الحاكم بأمر الله، فأكرمه الحاكم إكراما عظيما ولقّبه « كنز الدولة »، وأُطلق اسم الكنوز على أتباعه ومن ثم على سكان هذا الإقليم حتى وقتنا هذا.

ثانيا : « العليقات » ويقطنون المنطقة الواقعة إلى الجنوب من بلدة المضيق وتمتد إلى « كورسكو » ، وهم عرب هاجروا من الحجاز إلى مصر ثم استقروا فى بلاد النوبة ابتداء من القرن الثامن عشر . ولقد حافظوا حتى يومنا هذا على لغتهم العربية .

ثالثا : « القديجة » ويقطنون المنطقة من « كورسكو » فى الشمال إلى وادى حلفا فى الجنوب .

رابعا : « السُّكوت» ويقطنون منطقة الجندل الثانى وتنتهى أوطانهم عند وادى حلفا فى الشمال .

خامسا : «المحْسى» وتقع أوطانهم فى منطقة الجندل الثالث .

ومن المعروف أن إقليمى « السكوت » و «المحَسى» محدودا الموارد بوجه عام ، ولذلك كثيرا ما يحدث أن يتكاثر عدد السكان ويضطرون إلى الهجرة فى جماعات كثيرة ، ويتجه « المحس » عادة فى هجرتهم إلى الشمال ، أى إلى مصر ، ولقد حدث فى زمن الحركة المهدية أن هاجرت مجموعات كبيرة من « المحس » و « السكوت » إلى مصر هربا من التعسّف والاستبداد ، واستقرت هذه المجموعات فى المنطقه بين « وادى حلفا » و « كورسكو » واتخذوا لأنفسهم لقبا جديدا وهو «القديجة»

ومعناه فى لغتهم : « إننا سنهلك » ، أى أنهم هاربون من هلاك محقّق ، ولذلك نعتقد أن اسم « القديجة » لا يرجع إلى أبعد من عصر الحركة المهدية فى السودان .

سادسا : « الدناقلة » ويقطنون المناطق الواقعة إلى الجنوب من الجندل الثالث ، والتى تمتد فيما بين « الدّبة » و « أبى فاطمة » ، وهى منطقة تمتاز بخصوبتها واتساع الوادى فيها وخلو النيل من العوائق التى تعوق الملاحة .

واللغة النوبية هى إحدى اللغات الحاميــة ، تأثرت على مر العصور بمؤثرات لغوية خارجية ، ولذلك نجد فيها عناصر مصرية قديمة ويونانية ومرويتيه كما تحوى الآن الكثير من الكلمات العربية . وبقيت هذه اللغة عصورا طويلة ينطق بها الناس ولا يكتبونها ، ولعلها لم تكتب إلا ابتداء من العصر المسيحى فى بلاد النوبة ، والمخطوطات النوبية التى عُثر عليها ترجع إلى العصر الإسلامى ، وهى مدونة بالحروف اليونانية .

والنوبيون متعصبون كل التعصب للغتهم ، وهم يتحدثون بها حتى الآن ، وبعد أن اتخذوا من الإسلام دينا ، وبالرغم من انتشار اللغة العربية فى مصر وفى السودان ، بل وبالرغم من وجود جماعات عربية وهم « العليقات » متلغلغلة فى وسطهم .

واللغة النوبية تنقسم إلى لهجتين بينهما تشابه ، اللهجة الأولى : يتحدث بها « المحس » و « السكوت » وطبعا « الفديجة » ، واللهجة الثانية : يتحدث بها « الكنوز » و « الدناقلة » .

ولعل مما يثير العجب أن لهجة الكنوز فى أقصى الشمال تتشابه تماما مع لهجة الدناقلة فى أقصى الجنوب . وتفسير ذلك أن العلاقات التجارية بين الكنوز الذين يسكنون مصر والدناقلة الذين يسكنون السودان ، كانت من أشد العلاقات ارتباطا ، وتم هذا الاتصال عن طريق القوافل التى كانت تخترق البادية تجنبا لطول مجرى النيل وكثرة ما فيه من جنادل فى ثنيته العظيمة بين كورسكو فى الشمال وأبى حمد فى الجنوب .

وتسمى لهجة الكنوز أيضا بالمتّوكى وهى كلمة تعنى باللغة النوبية « الشمالى » أما لهجة الفديجة فتعرف « بالمريسى » اى « الجنوبى » .



تاريخ بلاد النوبة

النوبة كاسم يطلق على المناطق التى تمتد إلى الجنوب من أسوان حتى الجندل الرابع ، يعتبر حديثاً فى استعماله ، ولم يعرف إلا فى العصور المتأخرة ، ولم نعثر عليه مذكوراً فى أية وثيقة من الوثائق الفرعونية ، بل ولم يذكر فى العصر البطلمى .

وأول وثيقة ذكرت كلمة النوبة كانت الفقرة الثانية من الجزء السابع عشر من كتاب «الجغرافيا» لسترابون (عام ٢٥ ق . م .) وتشير إلى أن «المناطق التى تقع على الجانب الغربى للنيل فى ليبيا مأهولة بالنوبيين ، وهم قبيلة كبيرة تمتد اراضيها من مروى وتصل شمالا حتى انحناءات النهر ، وهم لا يتبعون إثيوبيا بل ينقسمون إلى ممالك عدة ، كل مملكة منها مستقله عن الأخرى» . هذا التعبير الجغرافى أطلقه «سترابون» على المنطقة التى تبدأ جنوباً من «مروى» (عند الجندل الرابع) وتنتهى شمالا عند «أبو حمد» .

أما المصريون القدماء فقد أطلقوا أسماء كثيرة على بلاد

النوبة ، ولعل أقدم هذه الأسماء هو « كينست » ، إلا أن الاسم الشائع كان « تاستى » أى « بلاد حاملى الأقواس » ، وكان يطلق أيضا على المنطقة المحيطة بالجندل الأول ، أى على الإقليم الأول من أقاليم الصعيد ، الذى امتدت حدوده حتى جبال السلسلة إلى الشمال من « كوم أمبو » .

وعاشت فى منطقة بلاد النوبة السفلى قبائل عدة ذكرها المصريون القدماء وهى :

١ — قبيلة « الواوات » وسكنت المنطقة حول « كورسكو » حاليا .

٢ — قبيلة « الإيرثت » وسكنت المنطقة حول « توماس » حاليا .

٣ — قبيلة « ستاو » وسكنت المنطقة حول « توشكى » حاليا .

٤ — قبيلة « إيام » وسكنت المنطقة بين « ارمنه » و « بوهن » حاليا .

٥ — قبيلة « مدجاو » وهى من القبائل الرحّل التى لم تستقر فى منطقة بعينها وكانت تجوب مناطق السودان والنوبة السفلى .

وانتمت هذه القبائل كلها إلى الجنس الحامى ، الذى انتمى إليه سكان شمال إفريقية كافة فى العصور الأولى .

* * *

كانت بلاد النوبة السفلى فيما بين الجندلين الأول والثانى ، جزءاً من الوطن المصرى منذ أول العصور ، ولسنا نشك أن الإنسان الأول قد استوطن النوبة كما استوطن مصر ، أى منذ العصر الحجرى القديم ، إذ وجدت آثاره ممثلة فى أسلحته وآلاته الحجرية فى مدرجات النيل فى بلاد النوبة ، وكان هذا العصر يمتاز بأمطار غزيرة جعلت من الهضاب والتلال العالية المجاورة للنيل مناطق غنية بنباتاتها وثروتها الحيوانية ، وعاش الإنسان الأول متجولا يصيد الحيوان ويلتقط الثمار ويعيش فى العراء ، وترك فى كل مكان حل به آلاته الحجرية البدائية إلا أنه لم يُعثر حتى الآن على الهياكل العظمية لهذا الإنسان الذى ربما كانت حضارته ترجع فى مراحلها الأولى إلى عام ١٠٠٫٠٠٠ ق . م .

ولكن ما لبث أن تبدل الحال وانتهى العصر المطير وساد شمال إفريقيا عصر جفاف ، حول الهضاب والتلال شرق النيل وغربه إلى صحراوات مجدبة ، واضطرت الحيوانات إلى أن تهرع

إلى مجارى المياه ، ومن ورائها الإنسان ، وكانت نقطة تحول عظيمة فى حياة الإنسان الأول ، إذا اضطر إلى الاستقرار حول مجارى المياه وارتبط بالأرض بعد أن تعلم الزراعة ومارسها ، وترك حياة التجول والصيد ، واستبدل بها حياة مستقرة رتيبة أضفت على حضارته طابعا خاصا استمده من بيئته الجديدة .

ولقد أثبتت الدراسات الأثرية أن أهل بلاد النوبة السفلى ، الذين كانوا قد استقروا فى أوطانهم منذ عصور ترجع إلى الألف الخامسة قبل الميلاد على الأقل ، عاشوا فى مستوى حضارى مطابق للمستوى الذى وصل إليه المصرى فى عصور ما قبل التاريخ ، بل كانوا يتبعون نفس الأسلوب الحضارى الذى اتبعه المصريون : فالأوانى الفخارية بأنواعها المتعددة المعروفة ، وألواح الكحل بأشكالها المختلفة ، والآلات الظرانية وأدوات الزينة تطابقت فى بلاد النوبة مع ما عثر عليه من العصر نفسه فى مصر . كما أن أهل النوبة كانوا ينتمون ، كما سبق القول ، إلى نفس السلالة التى انتمى إليها المصريون القدماء . وتمتاز هذه السلالة بالقامة المتوسطة النحيلة والرأس المستطيل البارز من الخلف وتمتاز أيضا بالأنوف والشفاه المعتدلة والشعر المموج . وكان لون بشرتهم اسمر يميل إلى الأحمر .

ويبدو أن أهل بلاد النوبة لم يستطيعوا السير فى مضمار الحضارة بالسرعة التى سارت بها مصر ، وسبب ذلك أن البيئة السخية فى الشمال واتصال المصريين بغيرهم من الأمم المتحضرة نتيجة لموقعها الجغرافى الفذ الذى يجعل منها منطقة تتوسط بحرين كبيرين أحدهما يتصل بالمحيط الهندى وبلاد الشرق عامة ، والآخر يمتد إلى بلاد الغرب والمحيط الأطلسى ، ثم بعد ان نعمت مصر بعصر ذهبى فى ظل الوحدة الكاملة بين الدلتا ومصر العليا ، كل هذا جعل الحضارة المصرية تقفز قدما تلك القفزات الموفقة نحو الكمال ، فى حين أن البيئة النوبية لم تترك إلا أوطانا صغيرة لا تتعدى بعض المناطق الضيقة من الأراضى الخصبة الملاصقة لنهر النيل ، تكتنفها من الشرق والغرب التلال الصخرية ومن ورائها صحراء جدباء وعرة ، ليس فيها ما يغرى سكان الوادى الضيق بالحركة أو الانتقال . كل هذه العوامل الطبيعية جعلت أهل هذه المنطقة يستمرون فى مستواهم الحضارى الذى وصلوا إليه فى عصور ما قبل التاريخ . ونظراً لأن الناس فى هذه المنطقة لم يستطيعوا فى يوم من الأيام أن يدوّنوا أحداثهم أو أن يكونوا أسرات حاكمة ، اضطر المؤرخون إلى اتباع طريقة التأريخ حسب المظاهر الحضارية ، وقسّموا العصور إلى مجموعات متعددة أهمها : —

١ — عصر حضارة المجموعة الأولى : من حوالى ٥٠٠٠ ق . م إلى عام ٢٩٠٠ ق . م .

٢ — عصر حضارة المجموعة الثانية : من حوالى عام ٢٩٠٠ ق . م إلى عام ٢٤٠٠ ق . م .

٣ — عصر حضارة المجموعة الثالثة:من حوالى عام ٢٤٠٠ ق . م . إلى عام ١٦٠٠ ق . م .

٤ — عصر حضارة المصريين القدماء:من حوالى عام١٦٠٠ ق . م إلى عام ٣٠٠ ق . م .

٥ — عصر الحضارة الرومانية المروية : من حوالى عام ٣٠٠ ق . م إلى عام ٣٠٠ ميلادية .

٦ — عصر الحضارة البليمية النوبادية:من حوالى عام ٣٠٠م إلى عام ٦٠٠ ميلادية .

* * *

لقد سبق القول إن « حضارة المجموعة الأولى » قد تطابقت مظاهرها مع ما كانت تتمتع به مصر من حضارة فى عصور فجر التاريخ ، أى منذ ٥٠٠٠ ق . م . ، ومنذ عصر الأسرة الرابعة المصرية ، دخلت بلاد النوبة فى عصر « حضارة المجموعة الثانية » الذى استمر أكثر من ٥٠٠ عام ، لم تستطع بلاد النوبة فيه

أن تستمر فى المستوى الحضارى السابق ، إذ ظهرت فيها عوامل اضمحلال وتدهور واضحة .

وأخذت عناية المصريين القـدماء ببلاد النوبة تشـتد وتقوى فى عصر الأسرة السادسة من التـاريخ الفرعونى ، ونستدل على ذلك من نص خلفه أحد عظماء هذا العصر واسمه « أونى » الذى أراد أن يتغلب على الصعوبات التى يلاقيها المصرى عند الجندل الأول واستحالة مرور السفن عبر صخوره ، فحفر خمس قنوات فى هذه الصخور ، ثم توجه إلى بلاد النوبة لإحضار بعض منتجاتها ، وسجل ان قبائل « الأرثت » و « الواوات » و « المدجاو » ساعدته فى مهمته هذه . وزادت الصلات السلمية عندما أخـذ أمراء جزيرة « الفنتين » يقومون برحلاتهم الاستكشافيه فى مناطق النوبة ، فتجولوا فيها وجابوا أرجاءها .

ومنذ عام ٢٤٠٠ ق . م دخلت فترة جديدة تمتاز بأسلوب جديد فى الحضارة وهى ما نطلق عليها « عصر حضارة المجموعة الثالثة » ، مهد لهذا العصر ماحدث فى مصر من تدهور كبير وتفكك فى الروابط بين الملك فى العاصمة وبين أمراء الأقاليم الذى تمتعوا باستقلال فى سياستهم المحلية وأهملوا الحكومة المركزية . هذا العصر بالذات أعطى الفرصة لبعض العناصر الأجنبية أن تستقر فى بلاد النوبة ، وهى عناصر تسربت إليها على هيئة هجرات

سامية من موطنها الأصلى فى ليبيا . ويمتاز عهد حضارة المجموعة الثالثة بتقدم نسبي ينحصر فى إتقان كبير للأدوات التى سبق استعمالها فى هـــذه المنطقة فى عصور سابقه ؛ كما أخذ الناس يستعملون أنواعاً متعددة من أدوات الزينة ، منها أساور من الذهب والعاج والخرز المنظوم . وفى هذه الفترة أيضاً تجمعت بعض القبائل الزنجية وتمكنت من أن تكوّن حول الجندل الثالث وإلى الشمال منه نقط ارتكاز أخذت تهدد منه منطقة النوبة السفلى بل تعدتها إلى الحدود الجنوبية لمصر نفسها . ولم تلبث هذه القبائل أن استقرت فى مدينة كبيرة هى «كرمة» تقع إلى الجنوب من الجندل الثالث وجعلوا منها عاصمة لهم . هؤلاء هم الذين ذكرهم التاريخ تحت اسم قبائل « الكوش » ورأى فيهم ملوك الأسرة الثانية عشرة(حوالى ٢٠٠٠ ق . م) عدوا خطرا ، اضطر الواحد منهم بعد الآخر أن يسارع إليهم محاولا القضاء على قوتهم ، وحدثتنا النقوش عن الكفاح المرير الذى قام بين الطرفين ، واضطر ملوك مصر أن يقيموا الحصون القوية على طول الطريق بين أسوان والجندل الثانى ، وأهمها حصنا « سمنه » و « وقمّه » ، وزودوا هذه الحصون بالحاميات ، وحرموا على الزنوج أن يعبروا الجندل الثانى إلى

الشمال سواء بطريق البر أو النيل إلا فى جماعات قليلة و بقصد التجارة . ولم يكتف ملوك الأسرة الثانية عشرة بهذا فقط ، بل استولوا على العاصمة « كرمه » وجعلوا منها مركزا تتجمع فيه تجارة الجنوب ويقيم فيه حاكم مصرى :

ومنذ عصر الدولة الحديثة (أى منذ منتصف القرن السادس عشر قبل الميلاد) انضمت بلاد النوبة السفلى والعليا حتى الجندل الرابع جنوبا إلى مصر ، وأصبحت جزءا لا يتجزأ منها ، وتأثرت هذه البلاد تماما بالثقافة المصرية وتعبدت إلى الآلهة المصرية وانتشرت فيها المعابد المصرية التى كانت بمثابة مراكز ثقافية يتعلم فيها الناس الدين والعلم . وعهد المصريون بإدارة هذه البلاد إلى موظف كبير يلقب « ابن الملك المولى على كوش » وكانت سلطاته كاملة بحيث يشرف على النواحى الإدارية والماليه فى هذه المنطقة الممتده من « نباتا » عند الجندل الرابع جنوبا إلى مدينة الكاب (جنوبى إسنا) شمالا . أما شئون الجزية فكان الملك يعين وكيلين لنائب الملك ، الأول يتولى جباية الجزية من إقليم الواوات أى بلاد النوبة السفلى والآخر يتولى جبايتها من إقليم الكوش أى بلاد النوبة العليا .

استمر الحال هكذا حتى القرن الثامن قبل الميلاد حين ظهرت أسرة قوية من الأمراء النوبيين ، انتهزت فرصة القلاقل والنزاع الذى انتشر فى مصر منذ القرن التاسع قبل الميلاد ، وكانت البلاد إذ ذاك قد انقسمت إلى مملكتين: إحداهما فى الدلتا والأخرى فى مصر العليا ، انتهزت هذه الأسرة حالة التدهور السياسى فى مصر وقبضت بيد من حديد على جميع مناطق بلاد النوبة، ومن ثم أخذت ترنو بأبصارها نحو الشمال وعملوا جاهدين على تحقيق حلمهم فى الاستيلاء على عرش الفراعنة ، واستطاع « بعنخى » أحد أفراد هذه الأسرة أن يحقق الحلم وكون الأسرة الخامسة والعشرين من التاريخ المصرى . إلا أن دولة أشور الفتية كانت قد امتدت بأطماعها إلى مصر ، واستطاع « أشور أخى الدين » بعد محاولات شتى أن يهزم الملك النوبى « طهارقا » ويدخل الدلتا عام ٦٧٠ ق . م .

استقر الأشوريون فى الدلتا ، وتركوا مصر العليا للفرعون النوبى الذى استطاع بعد فترة من الزمن أن يرجع إلى الدلتا ويقضى على الحامية الأشورية فيها ، وما كاد الملك الأشورى الجديد « أشور بنى بعل » يجلس على عرش بلاده حتى سارع بإرسال جيش قوى رد الدلتا إلى الحكم الأشورى ، ثم سار

إلى مصر العليا ووصل إلى طيبة وطرد منها « طهارقا » الذى ولى هاربا إلى عاصمته الجنوبية « نباتا » .

مات « طهارقا » وخلفه ابنه « تانوت أمون » الذى استطاع أن يجمع حوله كلمة المصريين فى مصر العليا ، وزحف شمالا نحو « منف » واشتبك فى معركة دامية عندها انتصر فيها انتصارا حاسماً ضد الأشوريين ، إلا أن الجولة الثانية كانت هزيمة له، وتعقبه الأشوريون ولم يجد بدا من الاحتماء فى العاصمة الجنوبية « نباتا » وبخروجه من مصر انتهى حكم النوبيين لها .

استقر النوبيون فى « نباتا » ولم يحاولوا الرجوع إلى مصر ، واكتفوا ببسط سلطانهم على مناطق النوبة السفلى ، وأخذ التاريخ يتحدث عن دولة نباتا التى استمرت تحكم السودان القديم فترة تزيد على ثلاثة قرون (من ٦٦٣ إلى ٣٠٠ ق . م) ، ولم يلبث أن انتقل الحكم إلى مروى حوالى عام ٣٠٠ ق . م ، وكان هذا الانتقال أمراً تحتمه الظروف السياسية التى هيمنت على مصر . وتغلغل البطالمة في بلاد النوبة السفلى ؛ إذ كانوا قد رسموا لأنفسهم سياسة خاصة نحو هذه المنطقة ؛ تتلخص فى الاحتفاظ بالمناطق التى تمتد إلى الجنوب من أسوان على مسافة تبلغ ١١٠ كيلو مترا ، وهى المنطقة التى أطلقوا عليها اسم

« الدوديكاشينوس » وكانت تشمل المدن الهامة الآتية : —
(١) دابود (٢) تافا (٣) كلابشه (٤) جرف حسين
(٥) الدكة (٦) كوبان (٧) قورته (٨) المحرّقه.

ويذكر التاريخ فى هذا العصر ملكا نوبيا هو « اركامون » كان قد تشبّع بالثقافة اليونانية وتوطدت صلاته بالملك « بطليموس الثانى » . ولقد ردد « ديودور الصقلى » قصة طريفة عن الملك « اركامون » ملخصها أنه كانت هناك عادة اتبعها كهنة « أمون » فى « نباتا » وذلك عندما كانوا يضيقون ذرعاً بأحد الملوك ، ويستشعرون منه عدم خضوعه لمشيئتهم أو خروجا على إرادتهم ، اعتاد الكهنة فى مثل هذه الحالات أن يرسلوا إلى ذلك الملك رسولا منهم يخبره أن إرادة الإله تحتم عليه قتل نفسه ، وقد لاقى كثير من الملوك حتفهم بهذه الطريقة معتقدين أنهم يؤدون عملا دينيا عظيما يتقربون به إلى الإله . ويبدو أن الكهنة حاولوا تنفيذ هذه السياسة مع الملك « اركامون » ، ولكنه استعمل طريقة أخرى للرد عليهم ، فوجه إليهم حملة انتقامية ، وقتل منهم فيها عدد كبير .

وهكذا حتمت الظروف السياسية على النوبيين نقل عاصمتهم من « نباتا » إلى « مروى » ، وكان هذا الانتقال بدء فترة

جديدة أخذت الحضارة المصرية فيها تضمحل وتحل محلها حضارة إفريقية تحمل طابعا جديدا ، يجدر بنا أن نصفه بأنه طابع أفريقى زنجى ، وساعدت الظروف دولة مروى فى أن تتطور فى طريقها الخاص الذى رسمته لها حضارتها الجديدة ذات الطابع الافريقى البحت دون أن تعترضها أحداث ذات بال .

* * *

وعندما دالت دولة البطالمة فى مصر وانتقل الحكم منهم إلى الرومان ، بدأت سلسلة من الثورات الجامحة يقوم بها أهل الصعيد مطالبين بها إجلاء المستعمر الغاشم ، ولقد اضطر الحاكم الرومانى « كورنيلوس جاللوس » بعد بضعة شهور من الفتح الرومانى وفى عصر الامبراطور « اغسطس » أن يواجه ثورة جامحة نشبت فى طيبة،وساعد النوبيون الثوار وأمدوهم بمعونات مختلفة . وبعد نجاح الحاكم الرومانى فى إخماد ثورة الطيبيين زحف جنوبا لمعاقبة النوبيين فيما وراء الجندل الأول ولكنه لم ينجح فى مهمته وتركهم متمتعين باستقلالهم على أن يعترفوا بالسيطرة الرومانية اسما وليس فعلا .

قام النوبيون بثورة كبيرة حوالي عام ٢٤ ق . م . ضد الرومان ، وهاجموا صعيد مصر وتغلبوا على الحامية الرومانية

التى كانت تتألف من ثلاث كتائب مساعدة ، ونهبوا جزيرة أنس الوجود وجزيرة الفنتين ومدينة أسوان .

استعد الرومان استعدادا كبيرا للرد على هذه الثورة وخرج الحاكم بترونيوس على رأس جيش كبير والتقى بالجيش النوبى عند الدكة واستطاع إيقاع الهزيمة به ، وتعقب النوبيين وحاصرهم فى قلعة « قصر ابريم » ثم استولى عليها وطارد فلولهم حتى وصل إلى مدينة «نباتا» « العاصمة النوبية القديمة » ودمرها ونهب ما فيها من كنوز . وبعد عامين أخذ النوبيون بثأرهم وتقدموا بقيادة ملكتهم الشهيرة « كانداكى » وتقابلوا مع « بترونيوس » عند قلعة ابريم ، ولكن عدم التعادل بين القوتين اضطر الملكة طلب الصلح ؛ ولكنه كان صلحا مشرفا ، إذ فاز النوبيون بقرار من الامبراطور أعفاهم فيه من دفع الجزية للرومان . حدث هذا عام ٢٠ ق . م . ، واستقر السلم فترة طويلة فى هذه المنطقة ، وقام الرومان بتشييد المعاقل والحصون التى لا تزال آثارها باقية حتى الآن فى الدكّه وكلابشه وقرطاسه ودابود .

* * *

فى أواخر القرن الأول بعد الميلاد ظهرت قوة فتية لشعب جديد هو شعب « البليمى » الذى أخذ على عاتقه مناوأة النفوذ

الروماني ليس فى بلاد النوبة فحسب ، بل أخذ يهاجم بقسوة المدن الجنوبية فى مصر العليا ووصلوا إلى قفط والمنشاه واستولوا عليهما .

ونحن لا نعرف على وجه التحقيق الجنس الذي انتمى إليه « البليمي » ، فالبعض يؤكدون أنهم من الجنس الحامى الذى انتمت إليه قبائل « البدچه » التى تنقسم سلالتها حاليا إلى جماعات مختلفة ، فمنهم البشاريون فى الشمال (أم على) الذين يعيشون فى المناطق بين البحر الأحمر وأسوان ، ومنهم بشاريو الجنوب (أم ناجى) الذين يقطنون المناطق الممتدة حول العطبرة ، ومنهم كذلك قبيلة « الأمرأر » التى يعيش أفرادها فى بورسودان والمرتفعات الواقعة بالقرب منها ، ومنهم « الهدنـدوه » الذين يقطنون دلتا الجاش ، وأخيرا ينتمى إليهم كذلك « بنو عامر » الذين يقطنون منطقة طوكر وحوض بركة فى السودان . ويرى البعض الآخر أن « البليمى » ينتمون إلى الجنس الزنجى وأنهم كانوا يقطنون منطقة النيل الأبيض والأزرق .

لقد أقض « البليمي » مضاجع الرومان الذين اضطروا فى عصر الإمبراطور « ديوقلديانوس » (٢٨٤ — ٣٠٥ ميلادية) أن يسحبوا جميع حامياتهم من بلاد النوبة السفلى ومن اسوان نفسها ؛ إذ تبين لهم أن شعب « البليمى » أصبح

سيدا لبلاد النوبة وأن هجماته على مدن مصر الجنوبية لا يقف أمامها الجند الرمانيون . إلا أن « ديوقلديانوس » لعب لعبته المشهورة وهى أن طلب من «النوباديين» ألد أعداء « البليمى » أن يكونوا حماة هذه المنطقة وأن يحافظوا على سلامتها . و « النوباديون » قبيلة ليبية كانت تجوب الصحراء الغربية وامتدت مناطقها من دارفور وكردفان جنوبا إلى الواحة الخارجة شمالا ، ومنهم انحدرت قبيلة « البقارة » حاليا . وأكرم الامبراطور أفراد هذه القبيلة بأن اقتطعهم اراضى واسعة فى أسوان وأغدق عليهم إعانات سخية مقابل خدماتهم .

حدث فى أوائل القرن الخامس الميلادى أن تحالفت قبائل « النوباديين » مع قبائل « البليمى » وهاجموا الأراضى المصرية وهزموا الحاميات الرومانية وأسروا كثيرا من جنودها ، ولكن الإمبراطورية الرومانية اضطرت أن تدافع عن نفسها بتجريد حملة قوية استطاعت أن تهزم القبيلتين وعقدت مع البليمى معاهدة أهم شروطها المحافظة على السلام لمدة مائة عام وإطلاق سراح الأسرى الرومان ودفع تعويضات ضخمة .

رضى البليمى بهذه الشروط ولكنهم طالبوا بالاحتفاظ

بالتعبد إلى آلهتهم : أوزوريس وإزيس ومين فى معبد جزيرة فيلا « أنس الوجود » ، بل طلبوا السماح لهم باستعارة تمثال معبودتهم الكبرى « إزيس » من ذلك المعبد ليطوفوا به فى مناطقهم مذكرين عشيرتهم بالاتفاق المبرم بينهم وبين الرومان.

حافظ البليمى على عهدهم طوال الأعوام المائة ، ولكنهم قاموا بثورة جامحة بعد انقضائها ، وشعر الامبراطور « جوستنيان » الأول (٥٥٠ ميلادية) أن الخطر كله يكمن فى تجمع « البليمي » و « النوباديين » حول معبوداتهم فى معبد « فيلا » فأمر بإغلاقه ونقل تماثيل الآلهة إلى القسطنطينية وسجن الكهنة. ونجحت هذه السياسة وخيم السلام على المنطقة.

* * *

دخلت المسيحية بلاد النوبة فى منتصف القرن السادس الميلادى ، وحدث فى عام ٥٧٧ م أن افتتح رئيس مطارنة اسوان معبد إزيس بعد تحويله إلى كنيسة ، وسرعان ما انتشرت الديانة فى المناطق الجنوبية ، وتحولت معظم المعابد الفرعونية إلى كنائس ، وظهرت دولة مسيحية نوبية فى مديرية دنقلة ، كان لملوكها سلطان قوى ، وسيطروا على معظم مناطق النوبة السفلى ، بل واستطاع أحد ملوكها واسمه « مركوريوس »

أن يشيّد كنيسة كبيرة فى مدينة « تافا » على بعد ٤٢ كيلومتر إلى الجنوب فى أسوان .

وفى القرن السابع كان على مملكة دنقلة المسيحية أن تواجه قوات العرب التى أخذت تتجه إلى بلاد النوبة بعد استقرارها فى مصر ، وانتهى الأمر بأن عقدت مملكة دنقلة معاهدة مع العرب فى مصر فى عصر الوالى « عبد الله بن سعد ابن أبى السرح» عام ٦٥١ م ، وأطلق على ملك هذه البلاد اسم « عظيم النوبة » . ونُص فى هذه المعاهدة على أن تشمل البلاد الممتدة من حدود مصر شمالا إلى حدود « علوة » عند الجندل السادس جنوبا ، وعلى أن تدفع مملكة النوبة الجزية إلى مصر وأن تتعهد بحماية المسلمين المقيمين فيها .

أخذ الإسلام ينتشر رويدا رويدا من مصر نحو الجنوب ، وبدا المسيحيون يلتجئون إلى بلاد الحبشة ، خاصة بعد أن قام احد أفراد أسرة صلاح الدين بحملة حوالى عام ١١٧٣ م توغل بها فى بلاد النوبة واستولى على كثير من الأراضى هناك .

وأصبحت بلاد النوبة السفلى منذ القرن الخامس عشر جزءاً من مصر واعتنق أهلها جميعاً الإسلام ، وفى أوائل القرن التاسع عشر تحصن بعض المماليك فى كثير من مناطق النوبة ، إلا ان إبرهيم باشا أجلاهم عنها .

آثار النوبة

استعرضت على الصفحات السابقة الأحداث التاريخية الهامة التى مرت على بلاد النوبة بعامة والسفلى منها بخاصة ، وهى أحداث بدأت كما قلت منذ أن استقر الإنسان الأول حول مجارى المياه ، وبعد أن ساد عصر الجفاف وحوّل مناطق شاسعة إلى صحارى جافة مجدبة ، ولقد استمرت هذه الأحداث وتتبعناها على مر العصور حتى وصلنا بها إلى العصر الحديث ، ولست اشك فى أن القارىء يتفق معى على ان منطقة بلاد النوبة السفلى كانت بمثابة همزة الوصل بين منطقتين على قدر كبير من الأهمية ، هما مصر فى الشمال والسودان فى الجنوب ، فلا نعجب إذن إذا كانت الآثار التى وصلتنا من هذه العصور الطويلة ، كثيرة العدد وعظيمة الأهمية ، وفى واقع الأمر نجد ببلاد النوبة السفلى مجموعة فريدة من المعابد قل ان نجد لها مثيلاً فى مصر نفسها ، إذ أن معظمها كان ، كما سبق الحديث ، قد تحولت إلى كنائس مسيحية ، وكسيت جدرانها بطبقة سميكة من الجص رسم الناس فوقها صور

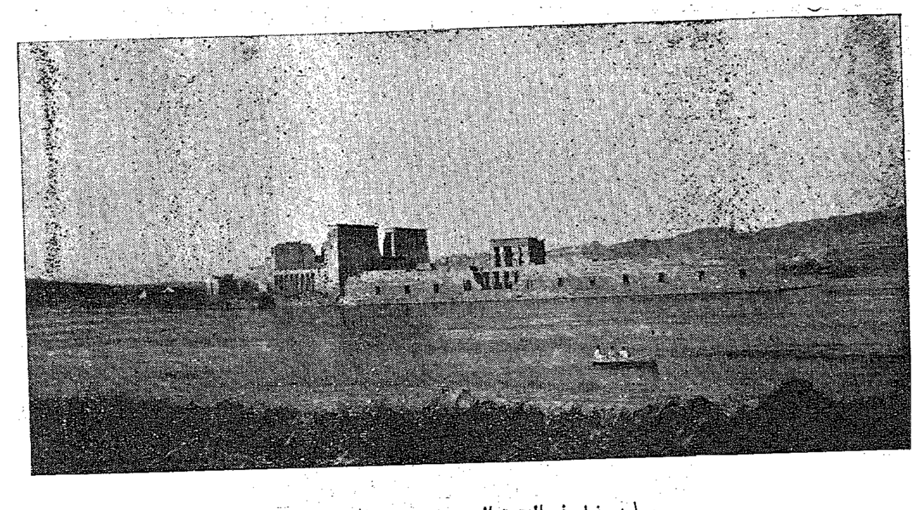
القديسين . ويجب ألا ننسى التأثير الكبير الذى كان لظروف الطبيعة على الإبقاء على هذه المعابد فى حالة جيدة ، خاصة وأن الناس فى هذه المنطقة لم يحاولوا مرة أن يسكنوا هذه المعابد أو أن يستعملوا حجارتها فى شئونهم الخاصة ، كما حدث فى معابد مصر من نفس العصر .

يوجد فى بلاد النوبة السفلى ستة عشر معبدا وخمسة هياكل ، قُدّ أكثرها فى باطن التلال الصخرية الممتدة إلى الشرق والغرب من مجرى النيل ، وسأحاول على الصفحات التالية أن أعطى صورة موجزة لكل معبد من هذه المعابد :

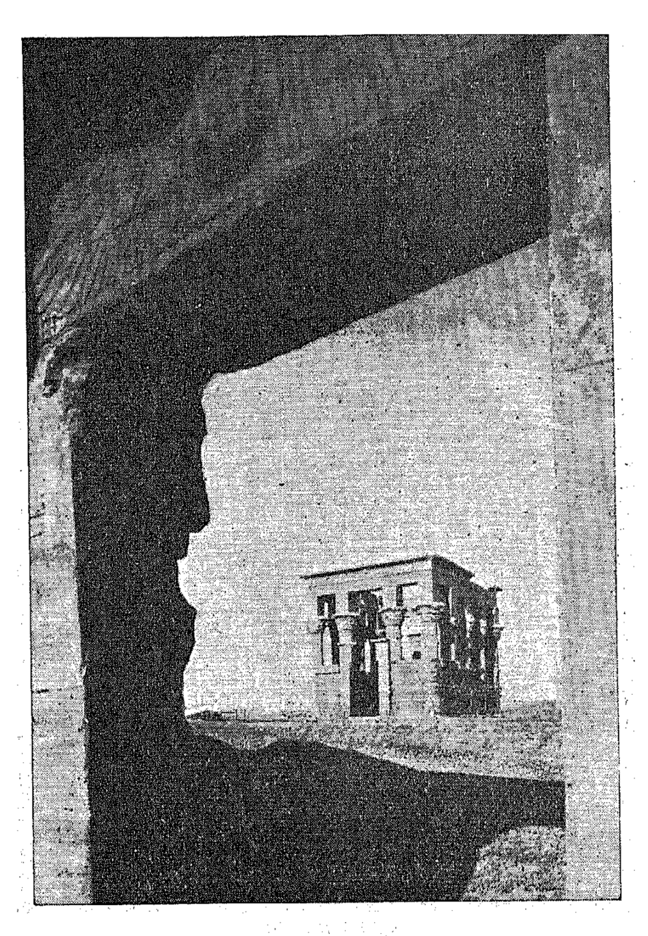
١ — معبد « فيلة »

هذا الاسم يطلق على الجزيرة الصغيرة التى تتوسط مجرى النيل ، وتقع على مسافة اربعة كيلو مترات إلى الجنوب من سد أسوان ، وهى عبارة عن جزيرة صخرية من الجرانيت الوردى كسيت على ارتفاعات مختلفة بطمى النيل .

وكلمة « فيلة » هى تحريف للاسم المصرى القديم « بيلاك » ويعنى « النهاية » لأنها فى واقع الأمر تقع عند أقصى الجنوب من مصر ، وعند حدود بلاد النوبة . ويطلق أيضا على هذه



معابد فيله فى الفترة التى تنحسر بها المياه عنها



کشك تراچان



منظر لصفٍّ من الأعمدة من معابد جزيرة فيله ،وقد بدأت تغمرها المياه

الجزيرة اسم « أنس الوجود » . ويتحدث أهل المنطقة بقصة طريفة بطلها شاب اسمه « أنس الوجود » كان قد أحب فتاة اسمها زهرة الورد ، ولما سمع والدها بهذا الحب ، هاله الأمر وبعث بابنته إلى معبد إيزيس القائم فى هذه الجزيرة وسجنها هناك ليبعدها عن حبيبها الذى هام على وجهه يبحث عنها فى كل مكان ، وسار على ضفاف النيل يسأل الناس عن حبيبته ، وكان أثناء طوافه يعطف على ما يلقاه من حيوانات الصحراء ، مما جعلها تأنس إليه وتسعى لمساعدته ، ووصل فى طوافه إلى جزيرة «أنس الوجود» ، واستعان بتمساح كبير ليعبر النيل من الشاطئ إلى الجزيرة والتقى بحبيبته ، واستطاع إقناع أبيها بأمر حبه ، فرضى أن يزوجها له .

كانت جزيرة « فيلة » قبل عام ١٩٠٣ ، أى قبل بناء خزان اسوان،من اجمل جزر هذه المنطقة فقد كانت تكثر فيها الزراعات وتزدان بأعداد كبيرة من أشجار النخيل ، إلا أنها الآن تبقى مغمورة أكثر شهور السنة فى مياه الخزان .

أقدم الأبنية فى هذه الجزيرة مقصورة شيدها الملك النوبى « طهارقا » (٧٠٠ ق . م .) ثم أقام الملك « نقتانبو الأول » (٣٧٠ ق . م) مقصورة أخرى صغيرة إلى القرب منها

وخصصها لعبادة الإلهة « إيزيس » ومن الغريب أن تظهر فجأة عبادة لهذه الإلهــة في هذه المنطقة التي كانت تقدس الإله « خنوم » معبود جزيرة « إليفاتيين » (التي تعرف حاليا باسم « جزيرة أسوان ») والذي اعتبر سيداً لهذه المنطقة منذ أول العصور . وتفسيرنا لهذا أن الديانة المصرية في العصور المتأخرة من التاريخ المصري أخذت تنوّه بصفات كثيرة للإله « أوزيريس » جاعلة منه ربا للإنبات والخير العميم بل وللفيضان أيضا ، وقيل أيضا بأن أحد أجزاء جسم « أوزيريس » دفن في جزيرة صغيرة على مقربة من « فيلة » وهي جزيرة « بيجة » ، ومن ثم اخذت عقيــدة « ايزيس » زوجة « اوزيريس » ومخلصته من كل ما حاق به من أذى ، ترتبط بجزيرة « فيلة » وكانت تقوم بزيارة زوجها في جزيرته في احتفال مهيب أكثر من مرة في العام .

وفي الواقع أخذت ديانة « إيزيس » تلعب دوراً كبيرا في العالم القديم منذ عصر البطالمة على أساس أنها الإلهة الشافية من الأمراض ذات القدرة العجيبة في شئون السحر ، وكلنا يعلم مدى انتشار الإيمان بالسّحرة قديما ، في أوروبا فقد وصلت في انتشارها شمالا إلى الجزيرة البريطانية .

ويرجع المعبد الرئيسى فى الجزيرة إلى عصر البطالمة (القرن الثالث قبل الميلاد) وتعاقب ملوك البطالمة ومن بعدهم الأباطرة الرومان وكل منهم يزيد من أجزاء هذا المعبد أو يضيف عليه صرحا أو جزءاً حتى اكتظت الجزيرة بمعابدها الكبيرة التى تزدان بأجمل النقوش والمناظر ، والتى نعتبرها المعين الذى لا ينضب للدراسات اللغوية والدينية للعصرين البطلمى والرومانى .

ولعل أهم العصور التى ازدهرت فيها عبادة « إيزيس » كانت عصور استقرار كل من شعبى « البليمى » و « النوباديين » فى هذه المنطقة ، واستمرت هذه العبادة تلعب دورها الكبير حتى أغلق الإمبراطور « جوستنيان الأول » المعبد عام ٥٥٠ م ونقل تماثيله إلى القسطنطينية وسجن كهنته .

٢ — معبد دابود

يقع معبد دابود الصغير على مسافة ٢٠ كيلو متر إلى الجنوب من سد أسوان وهى مسافة يقطعها المسافر فى رحلته النيلية مارا بعدة قرى صغيرة تتناثر هنا وهناك على شاطىء النيل ، بنيت منازلها على مستويات مختلفة فوق سفح التلال المحاذية للنيل ،



معبد دابود قبل أن تفك أحجاره وتنتقل إلى حيث سيعاد بناؤه

ويُلاحظ ان هذه القرى تبدو من بعيد ساكنة هادئة كما لو كانت مهجورة لا يسكنها إنسان ، وبجانب كل قرية نجد رقعة صغيرة من الأرض تحوى بعض الزراعات البسيطة بجوار حافة النهر . هذه القرى عادة تسكنها الزوجات والأطفال فى حين يعمل الأزواج والرجال فى الشمال ، يكدون ويكدحون ويرسلون بجزء كبير من أرباحهم إلى ذويهم فى هذه القرى ، وهذا المنظر يتكرر على طول الطريق من الشمال إلى الجنوب ، أى من اسوان إلى أدندان على مقربة من وادى حلفا فى الجنوب .

اما معبد دابود فقد بناه الملك النوبى « أزخر أمون » أحد ملوك دولة مروى الذى عاش حوالى عام ٣٠٠ ق. م. ولقد شيده على النمط المصرى ، وزاد فيه بعد ذلك الملك بطليموس الثالث ، ثم زينه بالنقوش المختلفة بعض أباطرة الرومان . ويتكون المعبد من بوابات ثلاث يتلوها فناء مفتوح ، ثم ردهتان ، وينتهى المعبد بقدس الأقداس الذى يحوى « ناووسا » من الجرانيت .

قامت مصلحة الآثار بفك حجارة هذا المعبد ونقلته

إلى جزيرة اسوان توطئة لإعادة بنائه . حدث هذا فى أغسطس وسبتمبر سنة ١٩٦٠ .

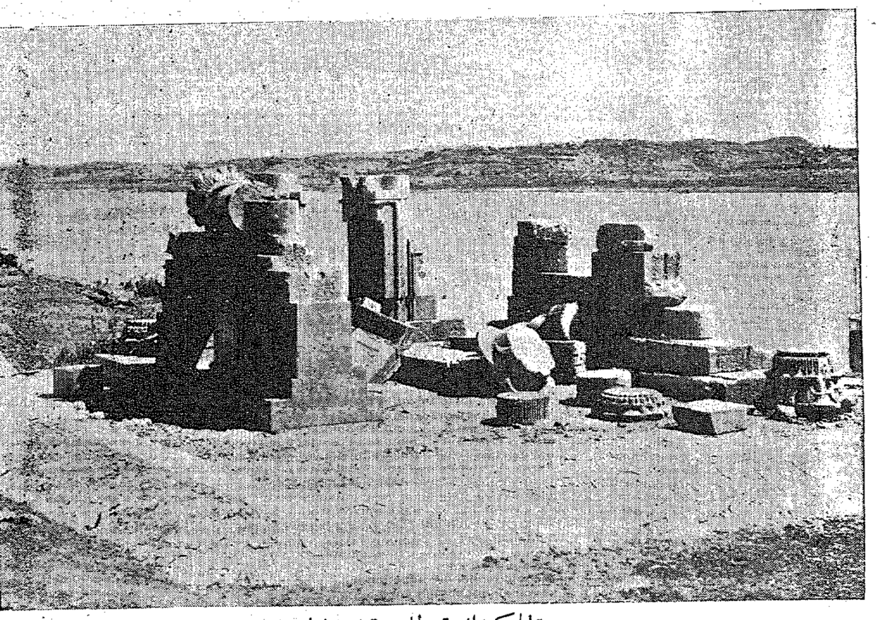
٣ — معبد قرطاسى

يقع هذا المعبد الصغير على مسافة ٤٥ كيلو مترا إلى الجنوب من سد أسوان ، ويرجع عصره إلى العهد الرومانى ، وهو يعتبر من أجمل المعابد فى منطقة النوبة السفلى وقد تهدمت معظم أجزائه فى القرن العشرين ، وقامت مصلحة الآثار بنقل حجارته إلى جزيرة أسوان فى شهر سبتمبر سنة ١٩٦٠ .

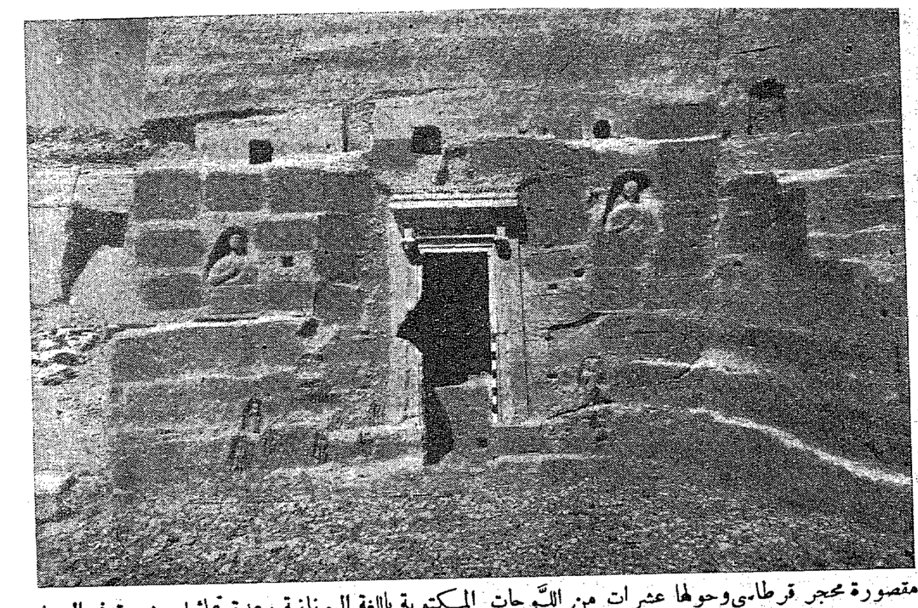
وإلى الجنوب من هذا المعبد يوجد محجر كبير قد أخذت منه الأحجار الضخمة التى استعملت فى تشييد معابد « فيلة » ، ويمتاز بوجود كثير من التماثيل المنقورة فى بعض أجزائه ، كما يوجد على مقربة منه حصن رومانى لا تزال الجدران المحيطة به قائمة يتوسطها مدخل كبير شيدت بوابته من الحجر .

٤ — معبد تافا :

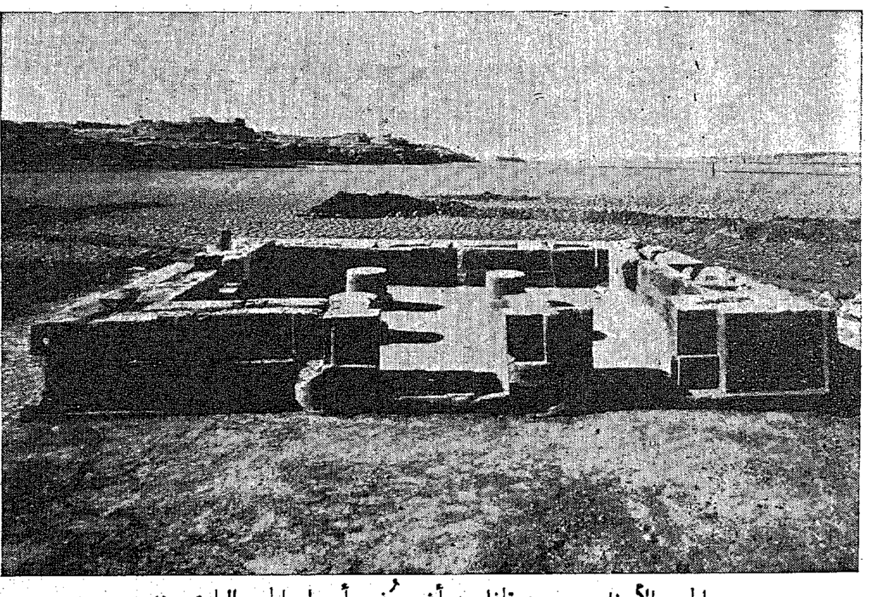
يقع هذا المعبد على مقربة من قرطاسى . ويبدو أن هذه المنطقة اكتسبت أهميتها منذ العصر الذى اشتدت فيه المقاومة بين قبائل « البليمى » والرومان . وحتى عام ١٨٨٠ كان



بقايا كشك قرطاسي قبل نقلها



مقصورة محجر قرطاسى وحولها عشرات من اللّوحات المكتوبة باللغة اليونانية وعدة تماثيل منحوته فى الصخر لبعض أشخاص أشرفوا على قطع الأحجار من المحجر



الجزء الأسفل من معبد تافا بعد أن رُفعت أحجار الجزء العلوى منه

هناك معبدان ، اختفى احدهما تماما ، واستعمل اهل المنطقة حجارته فى بناء منازلهم فى أوائل القرن العشرين ، وبقى الثانى قائما ؛ وهو عبارة عن معبد صغير بنى على أساس مرتفع ، ويتكون من صرح يتجه نحو الجنوب ويوصل إلى صالة الأعمدة ثم قدس الأقداس .

وقامت مصلحة الآثار فى سبتمبر سنة ١٩٦٠ بفك حجارة هذا المعبد ونقلتها إلى جزيرة أسوان توطئة لإعادة بنائه .

٥ — *معبد كلابشة* :

أكبر المعابد المشيدة فى بلاد النوبة السفلى ، فهو هنا يقارن بمعبد الكرنك بالأقصر !

وهو يبعد عن سد أسوان بحوالى ٥٧ كيلو مترا . بُنى هذا المعبد فى عصر الدولة الحديثة ، وفى عصر الملك أمنحتب الثانى على وجه التحديد (القرن الخامس عشر قبل الميلاد) ، وكان ملحقا بأحد الحصون المنيعة التى بنيت فى هذا العصر بين أسوان فى الشمال ونباتا عند الجندل الرابع فى الجنوب ، هذا علاوة على أن هذه المنطقة بالذات كانت ذات أهمية كبيرة إذ قامت على مقربة منها مدينة « تالميس » القديمة . إلا أن المعبد بشكله الحالى

يرجع إلى اواخر العصر البطلمى ثم زاد عليه بعض أباطرة الرومان مثل أغسطس ، وكاليجولا وتراجان. ويمتاز هذا المعبد الذى كان قد خصص لعبادة إله الشمس النوبى « ماندوليس » ، يمتاز بنص تاريخى كتبه أحد ملوك دولة مروى واسمه «سيلكو» (القرن الخامس الميلادى) وتحدث فيه عن انتصاراته المتتابعة ضد قبائل البليمى ، ويبدأ النص كالآتى : —

« انا سيلكو الملك النوبي القوى ، لقد حضرت مرتين إلى تاليس وتافيس ، وحاربت ضد البليمى ، ووهبنى الله النصر ، ثم هزمتهم مرة أخرى ، وكنت قد حصنت نفسى هناك مع جنودى . وفى آخر الأمر طلبوا السلام منى ، بعد أن أقسموا على معبوداتهم ، ووثقت بهم لأنهم ممن يحتفظ بوعده ، ومن ثم عدت إلى بلدى فى النوبة العليا ، لأننى ملك ، ولست ممن يسيرون فى ركاب ملوك آخرين ، بل إنى أتقدمهم » .

٦ — معبد « بيت الوالى »

ويقع هذا المعبد على مقربة معبد كلابشه السالف الذكر وإلى الشمال الغربى منه . وهو أول المعابد الستة التى نقرها رمسيس الثانى فى الصخر ببلاد النوبة . ويتكون هذا المعبد

معبد كلابشه



منظر للآلهة إيزيس على احد جدران معبد كلابشه



منظر يمثل الرمز الذى يرمز به المصرى إلى اللانهائية والأعوام الطويلة بالنسبة للملوك
(معبد كلابشه)

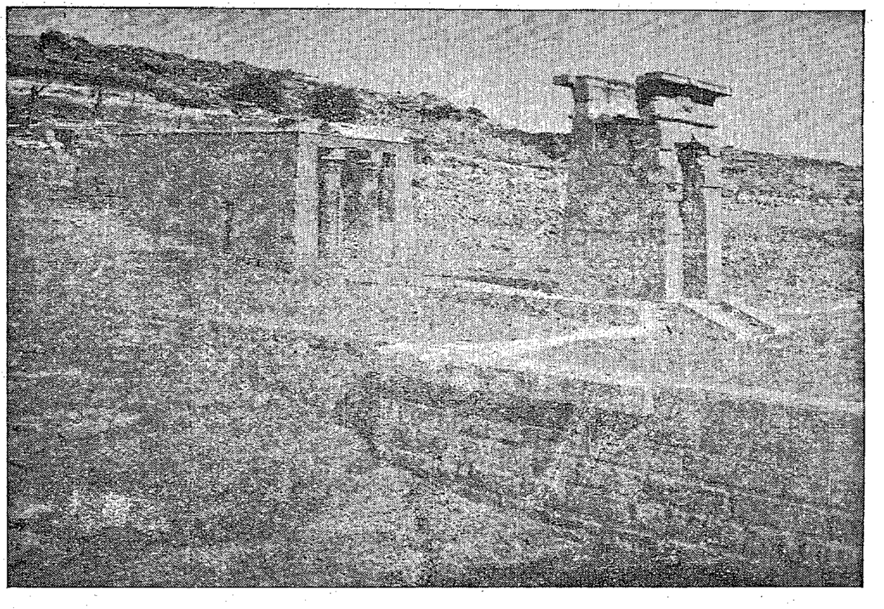


الآلهة إزيس ترضع الملك رمسيس الثانى فى قدس الأقداس بمعبد بيت الوالى

من فناء امامى مشيد من الأحجار ثم صالة أعمدة وقدس اقداس وكلاهما منقور فى الصخر . واهل اجمل وأهم نقوش هذا المعبد هو المنظر المنقوش على الجدار الجنوبى للفناء ، ويمثل الملك ومعه بعض أبنائه ، يمتطى كل منهم عربته الحربية ويهاجمون مع جندهم مجموعة من الزنوج أخذت تفرّ هاربة متجهة نحو قرية بنيت اكواخها فى غابة من شجر الدوم . ولقد أبدع الفنان فى تصوير الحياة اليومية فى هذه القرية .

٧ — معبد « دندور »

يقع هذا المعبد الصغير على الشاطىء الغربى وعلى بعد ٧٨ كم إلى الجنوب من اسوان ، شيده الإمبراطور أغسطس (٣٠ ق م) ويمتاز بأنه خصص لعبادة شخصين عاديّين اعتبرا من بين الأبطال ورفعهما الإمبراطور الرومانى إلى مصاف الآلهة ، وهما « باديسه » (عطيه إيزيس) و « باهور » (عبد حوريس) . ولعل من أهم النصوص التى سجلت فوق جدرانه هو ذلك النص المكتوب باللغة القبطية والذى يتحدث عن تحويل هذا المعبد إلى كنيسة مسيحية ، ويبدو أنه قد سجل حوالى عام ٥٧٧ ميلادية وأوصى بتسجيله الملك النوبى المدعو « اكيسپانومى » .

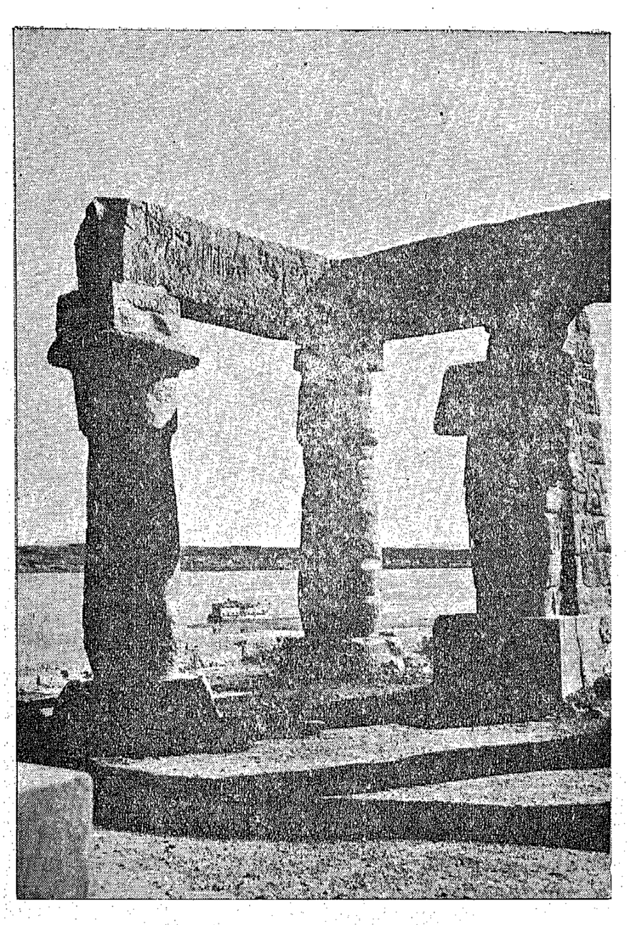


معبد دندور

٨ — معبد جرف حسين :

ويقع هذا المعبد وهو ثانى معابد رمسيس الثانى المنقورة فى الصخر ، على مسافه ٩٠ كم إلى الجنوب من سد أسوان . ومن المعروف ان صاحب هذا المشروع ومنفّذه هو نائب الملك والمولى على كوش المدعو «ستاو» ، ولقد خصص لعبادة الإله بتاح المعبود الأول لمدينة منف القديمة وشاركه أيضا بعض الآلهة الأخرى ممن اندمجوا فى عبادته مثل « بتاح تاتان » والإلهه « سخمت » كما أن الملك رمسيس الثانى رأى فى نفسه القدسية الإلهية التى تجعله يستحق العبادة من شعبه فنراه ممثلا كواحد من آلهة هذا المعبد .

شيد الفناء الخارجى من الأحجار فى حين نقرت الأجزاء الباقية من المعبد داخل الصخر وهى صالة الأعمدة الكبرى ويليها صالة أخرى صغيرة ثم قدس الأقداس . ومما يذكر هنا الاختلاف الواضح فى الأسلوب الفنى الذى استعمل فى نحت التماثيل والأسلوب الذى انتشر فى المعابد الأخرى التى شيدها أو نقرها الملك رمسيس الثانى ، أقصد بذلك أن الملك لابد وأنه استعان ببعض الفنانين المحليين الذين لم يتقنوا صناعة التماثيل ولم



أعمدة الفناء الخارجي لمعبد جرف حسين



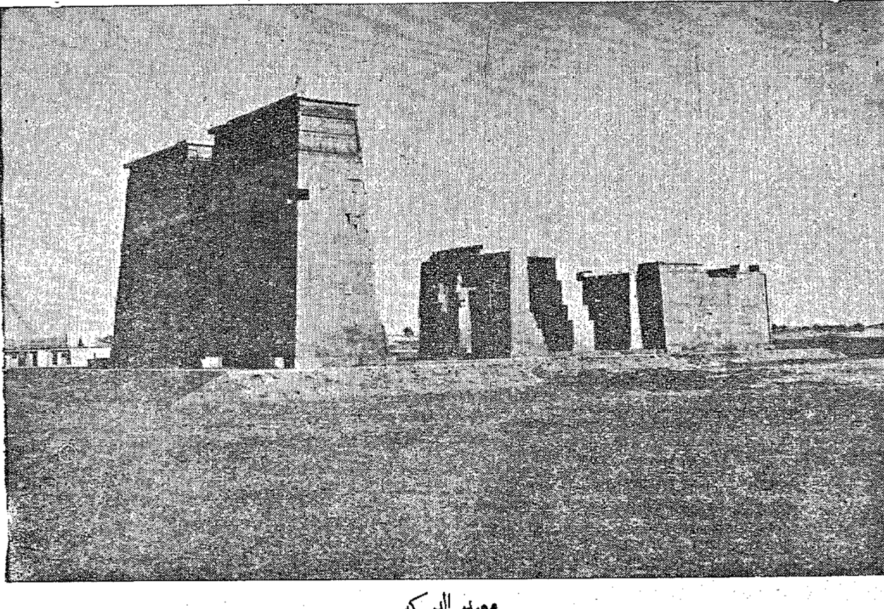
راس أحد تماثيل رمسيس الثانى القائمة على جانبى صالة الأعمدة
الكبرى بمعبد جرف حسين المنحوت فى الصخر

يتدربوا فنيا على النسب التى اشتهر بها الفن المصرى طوال العصور . ويجدر بنا ايضا أن ننوه بالمجهود الكبير الذى قامت به مصلحة الآثار فى العام الماضى لإزالة الطبقة السوداء القاتمه التى كانت تغطى معظم جدران هذا المعبد واختفت من ورائها الألوان التى كانت من اهم العناصر التى اعتمد عليها فن النقش عند المصريين القدماء . ولقد ظهرت هذه الألوان مرة ثانية زاهية متعددة فاكسبت المعبد قيمة فنية لم تكن له من قبل .

٩ — معبد الدكه :

نعتبر هذا المعبد ثانى المعابد الكبرى المشيدة ببلاد النوبة السفلى . ويقع على مسافة ١٠٧ كم إلى الجنوب من أسوان . ويبدو أنه قد بنى على انقاض معبد قديم يرجع إلى عصر الأسرة الثامنة عشرة إلا أن البناء الحالى يرجع إلى عصر الملك النوبى « اركمون » الذى قلنا فيما سبق إنه كان معاصراً للملك بطليموس الثانى وأنه نشأ نشأة متأثرة بالثقافة الإغريقية إلا أن بعض اجزاء هذا المعبد شيدت فى عصر الأباطرة الرومان .

ويتميز هذا المعبد بأنه يمتد فى محاذاة النيل بحيث يتجه



معبد الدكه

فى محوره من الشمال إلى الجنوب . وهو بذلك يخالف بقية المعابد التى كانت تصل فى فنائها الخارجى إلى شاطىء النيل ولا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق النهر .

يمتاز هذا المعبد أيضا بأهمية تاريخية إذ التقت بالقرب منه قوات الرومان بقيادة الحاكم الرومانى « پترونيوس » مع القوات النوبية بقيادة الملكة « كنداكى » حوالى عام ٢٣ ق٠ م٠ ولقد تحول هذا المعبد — حاله فى هذا حال معظم معابد النوبة — إلى كنيسة فى العصر المسيحى .

١٠ — قلعة كوبان :

تقع هذه القلعة على مقربة من معبد الدكه وإلى الجنوب منه . ولعل السبب فى تشييدها انه كانت على مقربة منها مدينة « بسلكيس » (أى مدينة العقرب) التى لعبت دوراً كبيراً فى العصور القديمة، ليس فقط لأنها كانت محاطة بمسافات شاسعة من من الأرض الطيبة الصالحة للزراعة ، بل لوجود الطريق الهام الذى كان يوصل إلى المناجم الشهيرة باستخراج الذهب فى وادى العلاقى ، وهى مناجم يحتاج الأمر إلى حماية الطريق الموصل إليها .

وترجع هذه القلعة إلى عصر الدولة الوسطى ، ولعلها كانت إحدى القلاع التى شيدها ملوك الأسرة الثانية عشرة (٢٠٠ ق.م) لتأمين منطقة بلاد النوبة السفلى . ولقد بقيت هذه القلعة طوال العصور بمثابة حلقة الاتصال بين الوادى ومنطقة المناجم . ولابد أن كميات الذهب كانت تختزن فيها تحت حراسة دقيقة حتى يتم نقلها إلى العاصمة .

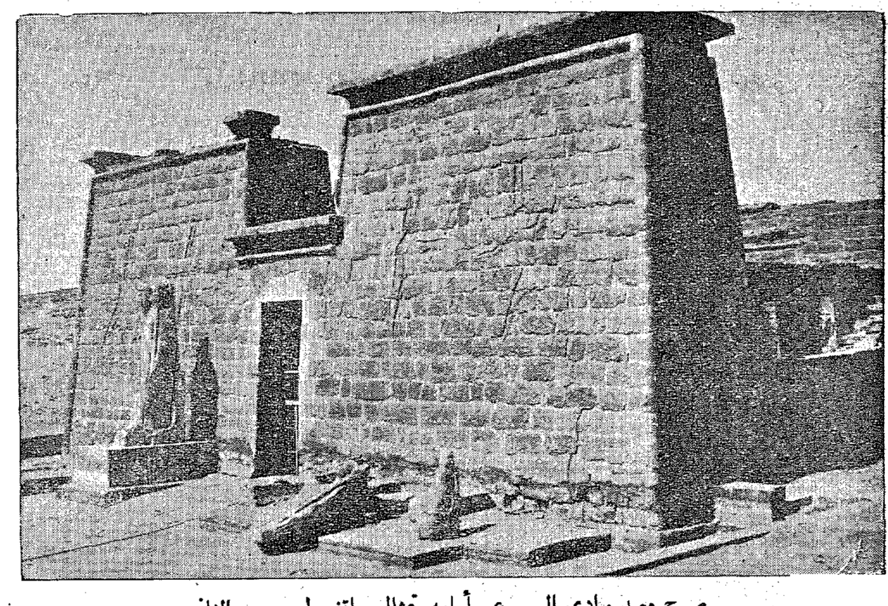
ومما يؤسف له أن مياه خزان أسوان قد طغت على هذه القلعة فتهدمت جدرانها ولم يبق منها إلا أجزاء قليلة كانت مشيدة من الحجر . ولقد كشف معول الحفار عن الكثير من الأحجار المكتوبة أهمها لوحة حجرية سجل عليها « رمسيس » الثانى قصة طريفة وهى أن أباه « سيتى الأول » كان قد لقى صعوبات جمة لقلة المياه فى وادى العلاقى وأنه اضطر إلى نقل كميات كبيرة من المياه إلى المناجم لتكفى مئات من العمال ، وان هذا النقل كان يكلفه الكثير من الجهد والمال ، ورأى أن يحاول حفر بئر فى الطريق ، وتمت المحاولة وتعمق العمال في بئر إلى مايقرب من ستين مترا ولكن المحاولة ذهبت سدى ولم يظهر أثر الماء . وتجمع رجال البلاط حول « رمسيس » وتحدثوا إليه برجاء أنه إذا ما نطق بكلمة ماء وقال إن « اظهر بين الجبل » فسوف

يخرج الماء من الأرض فليس الملك إلا ّرع وسوف يطيع الماء كلمة الإله . واطاع رمسيس نصيحة رجاله ، وحدثت الأعجوبة وخرج الماء بكميات كبيرة تكفى آلاف العمال . حدثت هذه الأعجوبه بعد أن تعمق العمال مسافة ستة أمتار فقط فى البئر التى حفرها أبوه « سيتى الأول » .

١١ — معبد وادى السبوع :

يقع هذا المعبد على مسافة ١٥٠ كم إلى الجنوب من سد أسوان ، وهو المعبد الثالث من المعابد التى نقرها « رمسيس الثانى » ببلاد النوبة من الشمال إلى الجنوب . ونعتقد أن التسمية هنا ترجع إلى صفين من التماثيل على هيئة أبى الهول التى تتقدم واجهة المعبد بين شاطىء النيل والصرح الأمامى . وفى واقع الأمر لم ينقر فى الصخر من هذا المعبد سوى قدس الأقداس وصالة واحدة هى التى تتقدمه فى حين أن صالة الأعمدة الكبرى والفناء الخارجى المفتوح قد شيدتا من الأحجار .

حُول هذا المعبد أيضاً إلى كنيسة مسيحية وكسيت جدرانه بطبقة سميكة من الجص رسمت فوقها مناظر القديسين وهى مناظر بقيت محتفظة بكثير من تفاصيلها وألوانها الزاهية .



صرح معبد وادي السبوع وأمامه تمثال واقف لرمسيس الثاني



منظر من قدس الأقداس يمثل رمسيس الثانى ، وهو يقدم الزهور لمجموعة من الآلهة فى قدس الأقداس التى رفعت تماثيلها وحل محلها القديس بطرس فى العصر القبطى عندما حوّل جزء من المعبد إلى كنيسة . ويعلو هذا المنظر منظر آخر لرمسيس الثانى راكعاً يتعبد إلى القارب المقدس وبه الإله رع حور أختى وقد وقف خلف القارب ثلاثة قرود يتعبدون للإله رع حور اختى أيضاً .

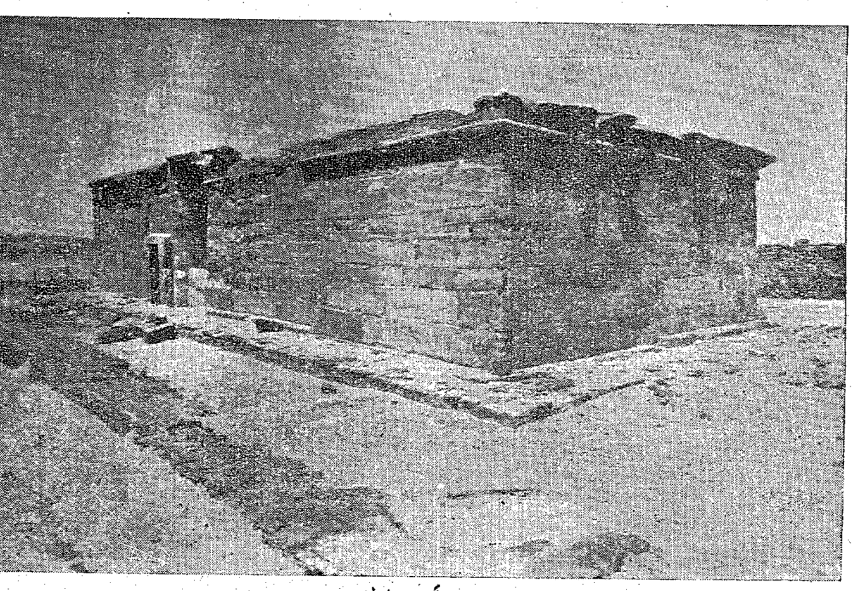
١٢ — معبد عمدا :

يقع هذا المعبد على مسافة ١٨٥ كيلو مترا إلى الجنوب في سد أسوان ، وهو أقدم المعابد القائمة في بلاد النوبة ، إذ شيده تحوتمس الثالث وزاد عليه ابنه أمنحوتب الثاني ، ومن بعده تحوتمس الرابع ، ولقد اعتُدى عليه وخرِّبت بعض أجزائه في عصر اخناتون ، كجزء من الحملة التي أرسلها هذا الملك لتخريب كل المعابد التي خصصت لعبادة آمون ، حتى تلك المشيدة في بلاد النوبة السفلى والعليا ؛ إلا أن الملك سيتي الأول أمر بترميمه وإعادته إلى ما كان عليه . ولنقوش هذا المعبد أهمية تاريخية ونخص بالذكر النص المشهور الذي أمر بتسجيله الملك أمنحوتب الثاني متفاخرا فيه بقوته وشجاعته .

حُوِّل هذا المعبد إلى كنيسة مسيحية ، وطليت جدرانه بالجير الأبيض لإخفاء الصور والنقوش المصرية ، ولقد حافظت هذه الطبقة على الألوان الأصلية التي لايزال بعضها ظاهرا حتى الوقت الحاضر .

١٣ — معبد الدر :

ويقع على مسافة ٢٠٠ كيلو متر إلى الجنوب من سد اسوان ، وهو المعبد الرابع من الشمال إلى الجنوب ، الذي



معبد عمدا من الخلف

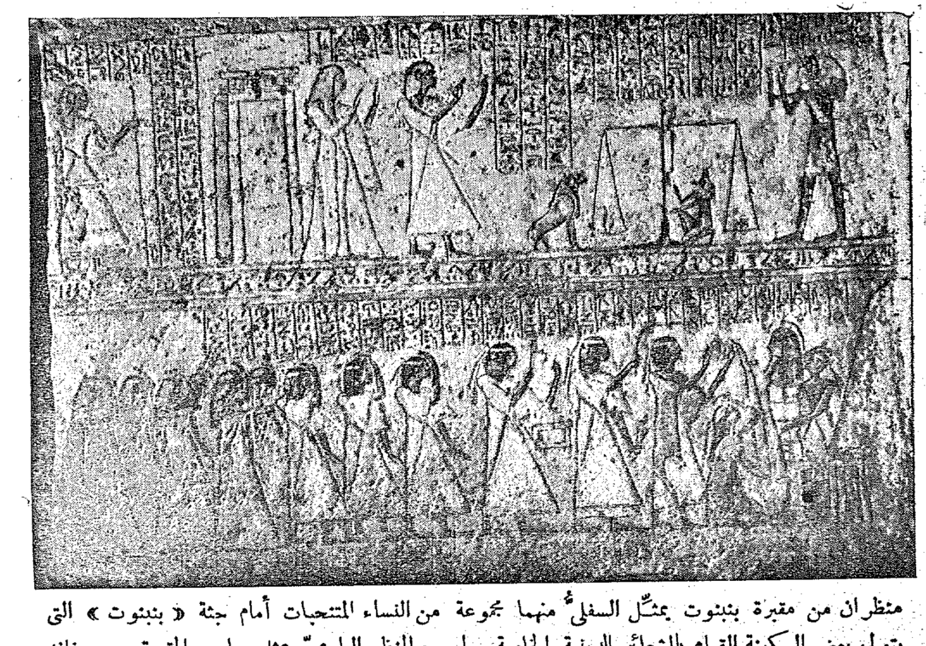
نقره رمسيس الثانى فى الصخر ، ولقد خصصه الملك لعبادة الإله « حور أختى » وكذلك لنفسه كإله للمنطقة .

١٤ — قلعة قصر ابريم :

تقع هذه القلعة على مسافة ٢٣٥ كيلومترا إلى الجنوب من سد أسوان ، وتمتاز بانها مشيدة على ربوة صخريه عالية ، جعل موقعها يشتهر بمناعته ، ونحن لاندرى متى بنيت هذه القلعة ولكن نعرف على وجه التأكيد أنها لعبت دورا كبيرا فى العصر الرومانى ، وفى الحروب الطاحنة التى قامت بينهم وبين الجيش النوبى . ونعرف أيضاً أن السلطان سليم الأول (القرن السادس عشر الميلادى) احتل هذه القلعة وترك فيها حامية من جنود البوسنة ، ومن الطريف أنهم مكثوا فيها وتركوا لأمرهم ، وتزاوجوا من أهل المنطقة ونسى أحفادهم لغتهم الأصلية وتحدثوا باللغة النوبية. ولاتزال فى هذه القلعة آثار مسجد تهدمت أجزاؤه .

وفى سفح الربوة العالية التى تقوم فوقها قلعة قصر ابريم ، نجد خمسة هياكل صغيرة منقورة فى الصخر ، قام بنقرها بعض حكام بلاد النوبة من عصر الدولة الحديثة ، ونقشوا على جدرانها بعض الرسوم تمثل ملوكهم يتعبدون إلى آلهة المنطقة ، ولم ينسوا أنفسهم فسجلوا أسماءهم على الجدران .

والسبب فى وجود هذه الهياكل فى هذا المكان بالذات ، هو أن عاصمة بلاد النوبة إبان عصر الدولة الحديثة كانت تبعد عنه بضعة كيلو مترات إلى الشمال ، وهى العاصمة «ميعم» والمعروفة الآن باسم «عُنيْبَة» ، ومن الطريف أن نعلم أن حكام النوبة الذين استقروا فى هذه العاصمة يشرفون منها على شئون الجنوب ويديرون دفة الحكم فيها لم يختاروا جبانتها لتشييد مقابر لهم ، والسبب فى ذلك واضح ، إذ أن المصرى كان يهتم اهتماما كبيراً بأن يحظى بمقبرة فى جبانة لها قدسية معينة ويدفن فيها بعد أن تقام لجثته المحنطة عدة طقوس هامة منها زيارة معبد الإله أوزيريس فى ابيدوس. ومن أجل هذا لم نعثر إلا على مقبرة واحدة لأحد هؤلاء الحكام ، وهو « بننوت » الذى عاصر الملك رمسيس السادس (القرن الثانى عشر قبل الميلاد) والذى كان نوبيا نشأ وترعرع فى هذه المدينة ، ثم وصل إلى وظيفة حاكم بلاد النوبة ، واختار جبانة « عنيبة » لتشييد مقبرته فيها ، وهى من اجمل المقابر فى المنطقة ولاتزال النقوش والمناظر المنقوشة فوق جدرانها محتفظة بألوانها الزاهية .



منظران من مقبرة بنبنوت يمثل السفلى منهما مجموعة من النساء المنتحبات أمام جثة « بنبنوت » التى يتولى بعض الكهنة القيام بالشعائر الدينية الخاصة بها . والمنظر العلوى يمثل صاحب المقبرة ومن خلفه زوجته أمام الميزان وقد وقف الإله تحت كاتب الإله يعدد الأعمال الطيبة لصاحب المقبرة

١٥ — معبد « أبو سمبل » :

الواقع أن هناك معبدين فى « أبو سمبل » ، وكلاهما نُقر فى الصخر فى عصر الملك رمسيس الثانى ، وهما بذلك يعتبران المعبدين الخامس والسادس فى بلاد النوبة من عصر هذا الملك ، والمعبدان : الأول للملك والثانى للملكة ، متقاربان لا يفصلهما إلا واد صغير ، كان ولا يزال تتكدس فيه الرمال التى تجلبها الرياح .

ويعتبر المعبد الأول من أضخم وأهم المعابد التى شيدت فى عصر الدولة الحديثة ، بل ويعتبر الوحيد من نوعه فى العمارة البشرية ، ونكاد نعتقد أن رمسيس الثانى قد ميّز منطقة «أبو سمبل» على غيرها من المناطق الأخرى التى شيد بها معابده ، نظرا لأنها كانت من الأماكن التى قدسها المصريون من أقدم العصور ، ولدينا من الأدلة ما يثبت أن « خوفو » (أحد ملوك الأسرة الرابعة ومشيِّد الهرم الأكبر ٢٨٠٠ ق . م .) قد أقام معبدا هناك ، كما أن هذه المنطقة كانت تحوى معبدا من عصر الدولة الوسطى .

يطالعنا المعبد الكبير بواجهته الضخمة التى تعتبر أروع

ما نفّذه المهندس المصرى القديم وذلك بالنسبة إلى التناسق الفنى بين عناصرها والانسجام الرائع بين الأثر نفسه ، والبيئة الجبلية التى حفر فيها . نحتت هذه الواجهة على هيئة صرح ارتفاعه ثلاثين مترا وعرضه اربعين مترا ، ويعلو هذا الصرح أكثر من عشرين تمثالا لقردة واقفة على أقدامها رافعة أيديها إلى أعلى محيية الشمس عند شروقها من بين قمم التلال العالية الممتدة على الشاطىء الشرقى . وغير هذا فقد نحت الفنان أربعة تماثيل ضخمة تمثل رمسيس الثانى جالسا على عرشه ، وهى تعتبر من أضخم التماثيل التى نحتها المصرى ؛ إذ يبلغ ارتفاع الواحد منها أكثر من عشرين مترا .

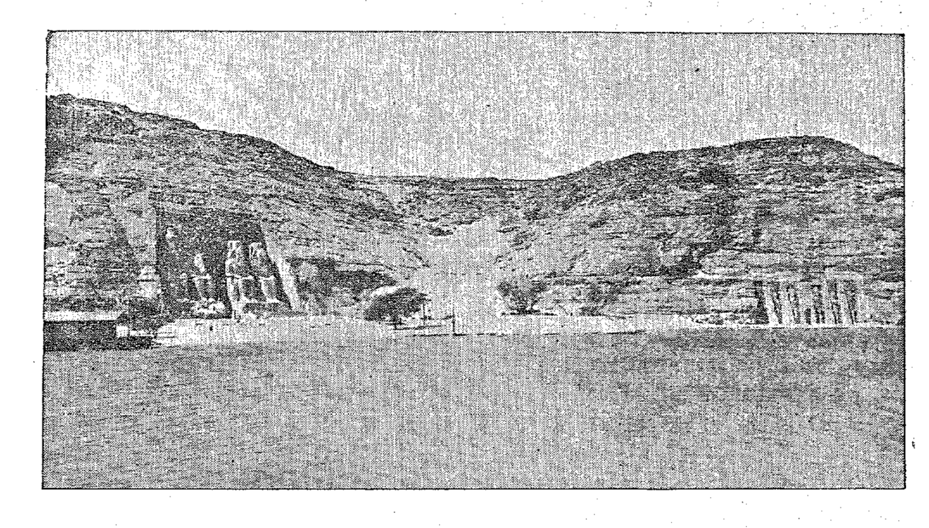
يتوسط الواجهة المدخل الموصل إلى الصالات الداخلية للمعبد ، ونصل منه إلى صالة الأعمدة الكبيرة التى تحوى أعمدة مربعة ، شكلت جوانبها المطلة على الردهة على هيئة تماثيل ضخمة للملك تمثله فى هيئة أوزيرية . ولقد امتلأت جدران هذه الصالة بمناظر مختلفة كلها تسجل مواقف حربية جريئة للملك ، وأهمها تلك المسجلة على الجدار الشمالى والخاصة بمعركة قادش المشهورة التى خاضها الملك فى السنة الخامسة من حكمه ، وحاول غريمه ملك الحيثيين « خاتوسيلا » أن يغرر به ويوقعه

فى كمين ، لولا يقظته وشجاعته الخارقة ، فاستبدل الهزيمة المنكرة نصرا مبينا .

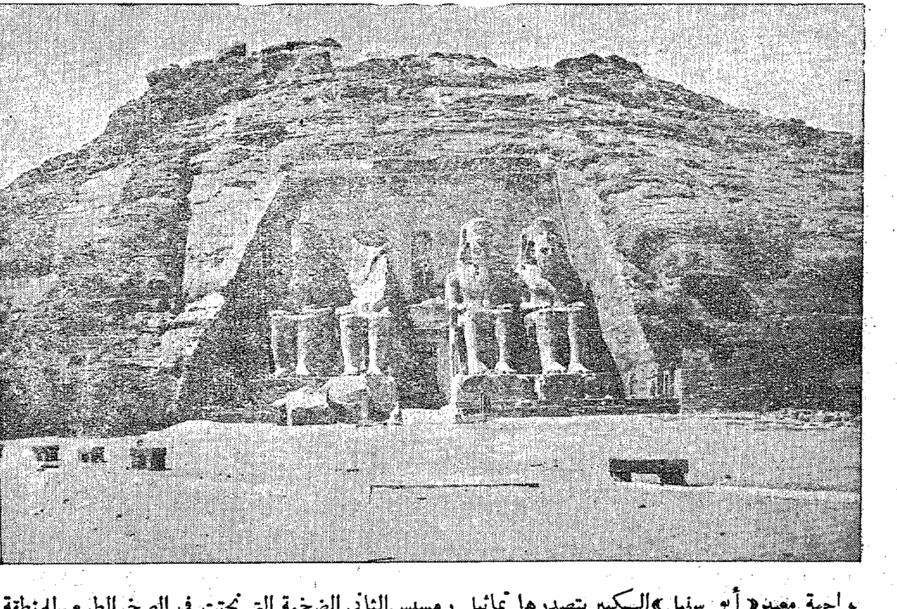
ونصل بعد صالة الأعمدة الكبيرة إلى صالة أخرى صغيرة تحوى أربعة اعمدة ، ومن ثم نصل إلى قدس الأقداس وهو يحوى أربعة تماثيل ضخمة لآلهة المعبد وهم « بتاح » و « حور آختى » و « آمون » و « رمسيس الثانى » نفسه ، ومن أهم المظاهر التى تميز هذا المعبد عن غيره من معابد المصريين القدماء ، دخول اشعة الشمس فى الصباح المبكر إلى قدس الأقداس ووصولها إلى التماثيل الأربعة ، فتضىء هذا المكان العميق فى الصخر والذى يبعد عن المدخل بحوالى ستين مترا .

أما المعبد الصغير والذى يقع إلى الشمال من المعبد الكبير ، فقد خصص لعبادة الإلهة المحلية للمنطقة « حاتحور » ولعبادة الملكة « نفرتارى » ، وهو وإن كان لا يقارن مع لأول فى الحجم الكبير فإن رسومه ونقوشه أتت لوحاتٍ دقيقة تنم على جمال صاحبته وأنوثتها الفاتنة .

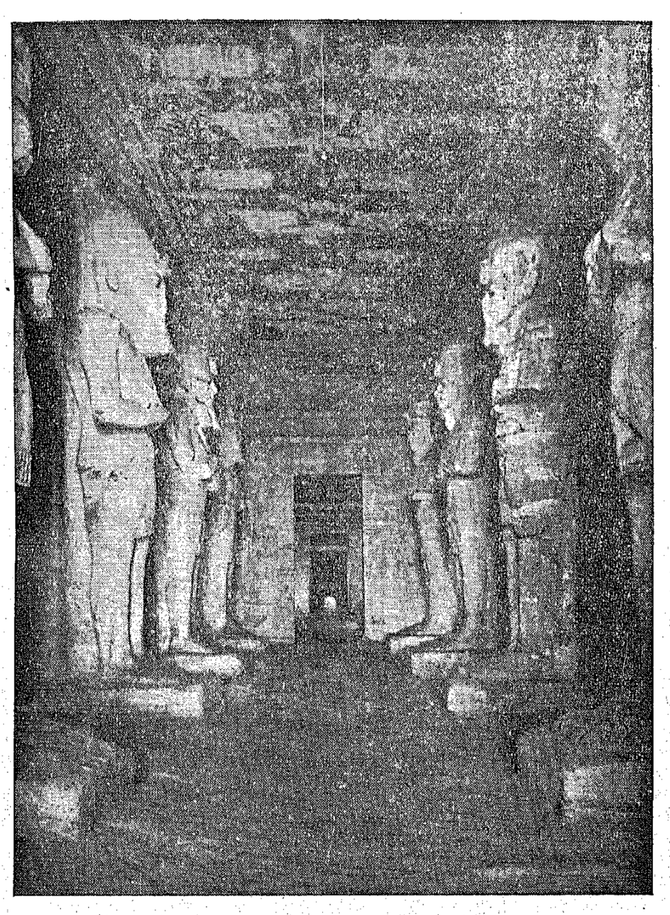
نحتت واجهة هذا المعبد ، حاوية لست مشكاوات ، ثلاث منها على كل جانب من جانبى المدخل ، وحوت تماثيل للملكة نفرتارى وزوجها رمسيس الثانى ، نحتت من نفس الصخر



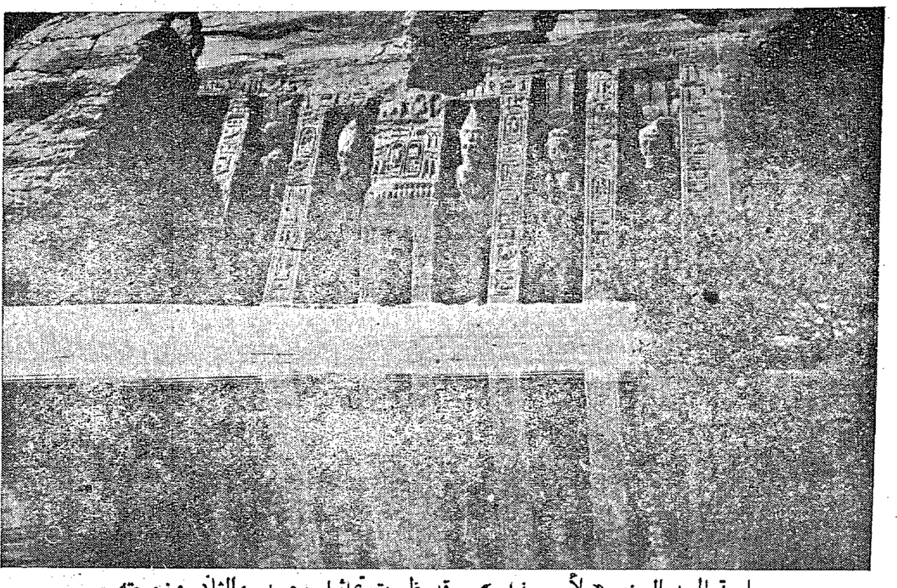
منظر عام لمعبدى « أبو سنبل »



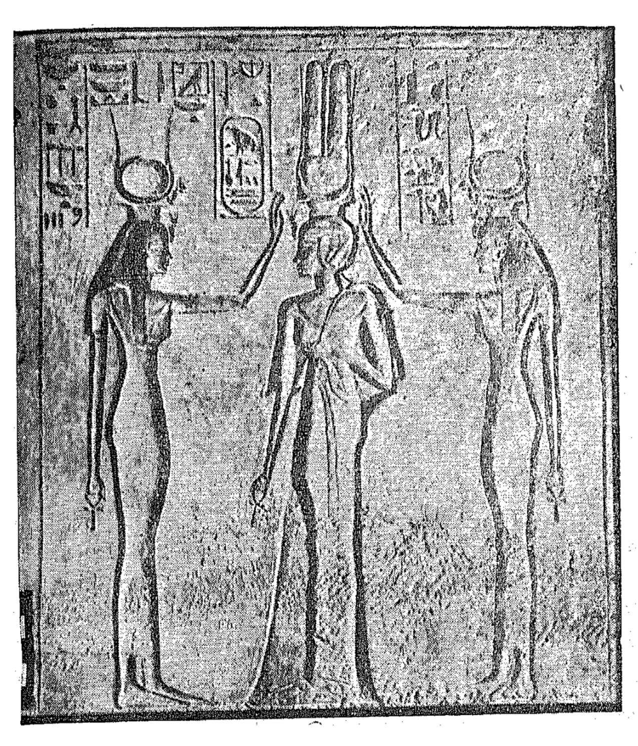
واجهة معبد « أبو سنبل » الكبير يتصدرها تماثيل رمسيس الثانى الضخمة التى نحتت فى الصخر الطبيعى للمنطقة



صالة الأعمدة الكبرى بمعبد «أبوسنبل» الكبير يحف بها من الجانبين
صفَّان من التماثيل لرمسيس الثانى فى وقفة أوزيرية



واجهة المعبد الصغير « لأبو سنبل » وقد ظهرت تماثيل رمسيس الثانى وزوجته
الملكة نفرتارى التى نحتت فى الصخر



منظر يمثل الالهة إيزيس والإلهة حتحور تتوجان الملكة نفرتارى
وهو احد المناظر الموجودة بمعبد «أبو سنبل» الصغير

ويزيد ارتفاع كل منها على أحد عشر مترا . ويحوى هذا المعبد صالة للأعمدة بها ستة أعمدة شُكِّلت قممها على هيئة رأس حتحور ، ثم صالة أخرى مستعرضة ثم ثلاث حجرات ،الوسطى منها كانت قدس الأقداس .

١٦ — معبد « أبو عودة » :

يقع هذا المعبد الصغير على الشاطىء الشرقى أمام معبد « أبو سمبل » ، نقره في الصخر الملك « حورمحب » أول ملوك الأسرة التاسعة عشرة ، وهذا المعبد الصغير يعتبر من أجمل المعابد من الناحية الفنية ، ويحوى المعبد صالة ذات أعمدة تقع على جانبيها حجرتان ، وفى نهايتها حجرة ثالثة هى قدس الأقداس .

حوّل هذا المعبد إلى كنيسة مسيحية ، وقد كسيت جدرانه بطبقة من الجص ، رسمت فوقها صور بعض القديسين ، ولقد حافظت هذه الطبقة على النقوش المصرية فبقيت محتفظة حتى الآن بألوانها الأصلية .

* * *

هذه هى أهم المعابد التى خلفتها لنا العصور القديمة ، وبقيت



منظر لقديس من العصر القبطى فى سقف معبد ابو عوده

قائمة فى هذه المنطقة دليلا على ما كان يحيط بها من نشاط دينى وثقافى ، ونحن نعتبرها من أمجادنا القديمة ، والعالم أجمع يعتبرها من بين تراث البشرية . علينا أن نحافظ عليها وننقذها من بين براثن الخطر الداهم الذى يهددها ، هذا الخطر هو فى نفس الوقت رسول الرخاء والعزة والكرامة لأهل مصر ، هو السد العالى الذى سيرفع الماء من أمامه إلى ١٨٠ مترا فوق سطح البحر ، مكونا بحيرة تعتبر أوسع وأضخم البحيرات الصناعية فى العالم ، ولكن سوف تغوص هذه المعابد فى باطن هذه البحيرة وسوف تختفى إلى الأبد ، إذا قصرت البشرية في إنقاذها ، إلا أن الجهود تبذل لتحقيق الإنقاذ ، وهى جهود جماعية سوف لا تنفرد بها نحن ، بل سيشترك فيها كل شعوب العالم المتحضر . وإنى سأسرد للقارىء على الصفحات القادمة قصة هذه الجهود منذ أن بدأت حتى يومنا هذا ، كما سأخصص صفحات كاملة للتحدث عن مشروع إنقاذ معبدى «أبو سمبل» ، إذ أن معضلته تعتبر أكثر معضلات آثار النوبة تعقيدا ، ولقد طال النقاش عنها وملأ أسماع العالم ، بل لا أغالى إذا قلت : إن مشروع إنقاذ آثار بلاد النوبة ، يُفهم فى كثير من بلاد العالم على أنه هو مشروع إنقاذ معبدى « أبو سمبل » .

تاريخ البحث العلمى

فى بلاد النوبة

كان بناء سدّ أسوان فاتحة خير كبير للدراسات الأثرية بالنسبة إلى بلاد النوبة السفلى التى ظلت — شأنها فى ذلك شأن امم الشرق القديم — غارقة فى ظلام دامس قرونا عديدة ، لا نعرف عنها إلا القليل الذى وصل إلينا من أولئك الكتاب الإغريق والرومان الذين قلنا إنهم اخذوا يتجولون فى بلاد الشرق القديم منذ أواخر القرن السادس قبل الميلاد .

وما كادت الحكومة المصرية تفكر فى بناء سد أسوان حتى تحرك العلماء وتسابقوا للكشف عن آثار هذه المنطقة قبل أن تغمرها مياه السد . ولعل من أهم الدوافع التى جعلت البعثات العلمية تسارع للكشف عن آثار بلاد النوبة السفلى أنهم رأوا كيف طغت مياه سد اسوان عام ١٩٠٢ على معابد جزيرة فيلة (أنس الوجود) . وعندما أعلنت الحكومة المصرية عن نيتها فى تعلية السد للمرة الأولى فى عام ١٩٠٧ ، عهدت مصلحة الآثار إلى أحد رجالها بإعداد تقرير مستفيض عن بلاد

النوبة وآثارها المشيدة ، وتلك المدفونة فى باطن الأرض .
ثم عهدت إلى بعض العلماء بأن يقوموا بالنشر عن معابد بلاد النوبة نشرا علميا محققا . وكانت أهم البعثات التى تولت العمل فى هذه المنطقة هى بعثة مصلحة الآثار التى تولت البحث عن الآثار المدفونة على شاطىء النيل على طول المسافة التى ستغرقها المياه (أكثر من مائتى كيلو متر إلى الجنوب من السد) .
وتولى الإشراف على هـذه البعثة العالم الأمريكى الدكتور « چورچ رايزنر » الذى أخذ على عاتقه أن يبحث هذه المنطقة الممتدة مترا بعد متر ، لم يترك جبانة دون الكشف عن مقابرها ووصف محتوياتها وصفا علميا دقيقا ، كما أنه رأى أن دراساته يجب ان تستكمل بفحص الهياكل البشرية التى عثر عليها فى المقابر ، فكوّن بعثة أخرى تكميلية راسها الدكتور « إليوت سميث » مهمتها أن تقتفى خطى البعثة الأثرية ، وتتولى بحث الجماجم لتحديد الجنس البشرى الذى تنتمى إليه هذه المجموعات البشرية ، وتتولى أيضا دراسة طرق التحنيط وما بقى فى الهياكل البشرية من آثار لأمراض مستوطنة وغير ذلك . وقامت هاتان البعثتان بنشر نتائج أبحاثهما فى كتاب ضخم من جزئين . .
وفضلا عن هذه البعثات ، أوفدت أكاديمية العلوم الألمانية

بعثة كانت مهمتها الرئيسية نقل نصوص معبد فيلة وتصوير كل أجزاء المعبد وعمل قوالب جصّية لأهم مناظره ونقوشه التاريخية . ثم قامت هذه البعثة بعد ذلك بالبحث والتنقيب فى منطقتين هما توشكى وأرمنّا .

وتتابعت بعد ذلك المؤلفات التى نشرت عن أعمال الحفر والتنقيب العلمى وبلغت الكتب التى نشرتها مصلحة الآثار المصرية بمفردها اثنين وعشرين مؤلفا .

وقبل البدء بالتعلية الثانية أى فى عام ١٩٢٩ أوفدت مصلحة الآثار بعثة كبيرة اشترك فيها لأول مرة مصريون ممن درسوا الآثار فى الجامعة . وأخذت هذه البعثة على عاتقها الكشف عن جميع الآثار المطمورة فى باطن الأرض فيما بين منطقة وادى السبوع فى الشمال ومنطقة بلانه فى الجنوب . واستغرقت أعمالها من عام ١٩٢٩ إلى عام ١٩٣٤ . واحرزت هذه البعثة انتصارات هائلة فى البحث العلمى فى منطقتى قسطل وبلانّه ؛ إذ عثرت على جبانة فى قسطل فيها آثار على جانب كبير من الأهمية الفنية والتاريخية ، إذ كانت الجبانة التى وفق رجال هذه البعثة إلى العثور عليها تحوى مقابر ضخمة وكانت عادة الدفن فيها أن توضع جثة صاحب المقبرة فى حجرة داخلية ومعها زوجته وأهل

منزله الأعزاء لديه . ويتضح من حالة هذه الجثث انها قد قتلت عمدا لتصاحب سيد الأسرة فى حياته بعد موته . ثم يقفل باب المقبرة ويضحى بالعبيد والخدم والحيوانات المستأنسة مثل الكلاب والخيل ، ثم الحيوانات الأخرى مثل الحمير والثيران والأغنام والجمال . وكانت هذه الحيوانات تدفن وعليها سروجها وزينتها التى كانت تصنع من الفضة أو من النحاس ، أما الأقمشة التى كسيت بها سروج الخيول والجمال والحمير فقد امتازت بألوان زاهية وصنعة دقيقة . ولقد وجدت من كل هذه الأدوات نماذج كثيرة . ومن الغريب أن الأقرباء والأصدقاء كانوا يقومون بعد الانتهاء من كل مراسيم الدفن سواء لجثة صاحب المقبرة أو لجثث أتباعه وخدمه وحيواناته ، كانوا يهيلون كميات كبيرة من الأتربة لتغطية المقبرة ولإقامة تل صناعى فوقها كما كانوا يضعون أنواعاً مختلفة من الهدايا وسط هذه الكومة العالية من الأتربة ، فقد عثر المنقبون أثناء حفر الكومة على أنواع مختلفة من حراب وسيوف وصناديق وأدوات للتسلية وأوانى من الفضة وأشياء كثيرة من أدوات الزينة . وتكونت من هذه الآثار مجموعة كبيرة معروضة الآن فى المتحف المصرى .

المشروع الدولى لإنقاذ

آثار النوبة السفلى

ما كادت حكومة الثورة تبدأ فى التفكير فى دراسة المشروع الضخم الخاص بتشييد السد العالى ، حتى اخذت مصلحة الآثار تفكر جديا فى المسئولية الكبرى التى ستقع على عاتقها ، وهى مصير آثار بلاد النوبة التى ستغمرها مياه السد بعد أن يرتفع منسوب هذه المياه إلى ١٨٠ مترا فوق سطح البحر ، وسيكون غرق هذه الآثار أبديا .

فأوفدت مصلحة الآثار عام ١٩٥٤ بعثة إلى بلاد النوبة تضم عدداً من علماء الآثار المصرية ورجال الهندسة لوضع تقرير عن إنقاذ هذه الآثار . وطافت هذه البعثة ببلاد النوبة متفقدة معابدها ومقاصيرها ومناطق جباناتها ، ثم وضعت تقريراً نشرته المصلحة فى يونية ١٩٥٥ باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية ، أوصت فيه بحفر بعض الجبانات الأثرية وتسجيل آثار النوبة من معابد ومقابر ونقوش مختلفة فوق الصخور ، ثم بنقل بعض التماثيل من معبد « وادى السبوع » ومعبدى « أبو سمبل »

والاكتفاء بنقل بعض المعابد المشيدة مثل معبدى « قرطاسى » و «عمدا» ،كما نوهت البعثة بالمشروع الذى وضعه المهندس المصرى عثمان رستم لإنقاذ معابد جزيرة « فيلة » واوصت بتنفيذه .

وفى عام ١٩٥٥ اتجه التفكير إلى إنشاء مركز علمى لتسجيل الآثار القائمة تسجيلا دقيقاً ، واتفقت وزارة التربية والتعليم (التى كانت تتبعها المصلحة حينذاك) مع منظمة « اليونسكو » على إمداد هذا المركز ببعض الفنيين والعلماء والأدوات ، وتم المشروع ، ولم يكد مركز تسجيل الآثار يبدأ عمله ، حتى اتجه نشاطه العلمى نحو بلاد النوبة فأرسل أولى بعثاته فى نفس العام إلا بلاد النوبة ووضع المنهج الآتى : —

١ — إرسال أربع بعثات سنوية من ١٩٥٥ — ١٩٥٩ لتسجيل المعابد التى لا تغمرها مياه النيل فى موسم الشتاء .

٢ — إرسال بعثة فى ديسمبر ١٩٥٩ لتسجيل معبدى « أبو سمبل » واستأنفت أعمالها مرة ثانية فى إبريل ومايو سنة ١٩٦٠ .

٣ — أرسل المركز ثلاث بعثات صيفية عملت تباعا فى الأعوام ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ ، ١٩٥٩ .

٤ — بعثة فى سبتمبر وأكتوبر عام ١٩٥٩ لتسجيل نقوش الصخور بين فيلة وجبل أبو دروه .

ومرت الأعوام ولاحظت مصلحة الآثار ان نشر تقرير البعثة التي أوفدتها عام ١٩٥٤ إلى بلاد النوبة وتوزيعه على الهيئات العلمية في جميع انحاء العالم ، لم يؤت الثمرة المرجوة ، إذ لم تستجب من الهيئات العلمية سوى هيئة ، «المعهد الألماني للآثار» بالقاهرة ، الذي بدأ حفائره في شتاء عام ١٩٥٨ في منطقة « عمدا » ، واضطرت المصلحة إزاء هذا التباطؤ أن تقوم هي بنصيبها في العمل ، وأوفدت بعثة لاستكمال أعمال الحفر في منطقتي « قسطل » و « بلانه » ، كما قامت جامعة الإسكندرية في شتاء عام ١٩٥٨ — ١٩٥٩ بالحفر في منطقة« عَـدّه » .

وتلك مسئولية ضخمة ولاشك ، مسئولية التنقيب على شاطىء النيل في مسافة تقرب من ٣٥٠ كيلو مترا ، مسئولية المحافظة على ١٦ معبداً بعضها مشيد بالحجارة والبعض الآخر منقور في باطن التلال الصخرية ، خاصة إذا علمنا أن الإمكانيات الفنية والعلمية والمادية الموجودة لدى مصلحة الآثار لا تكفي مطلقاً للقيام بمشروع الإنقاذ الذي يتطلب القيام بأعمال الحفائر العلمية ونقل المعابد والمقاصير والمقابر وحمايتها .

انتقلت مصلحة الآثار ومركز تسجيل الآثار في عام ١٩٥٩ إلى وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، وبدأت هذه الوزارة

تفكر جديا فى الالتجاء إلى منظمة دولية كمنظمة اليونسكو للحصول على هذه المساعدات العلمية والفنية والمادية لإنقاذ هذه الآثار التى نعتبرها من التراث البشرى ونرى أن المحافظة على هذا التراث واجب مقدس .

وكلمة حق يجب علينا أن نسجلها هنا ، وهى أن الجهود التى بذلها ولا يزال يبذلها السيد الدكتور ثروت عكاشه وزير الثقافة والإرشاد القومى ، لاستكمال عناصر هذا المشروع الضخم ونقل العناية به من الحيز المحلى إلى الحيز الدولى ، لهى جهود سيسجلها التاريخ له على صفحاته ، وسيستمر هذا المشروع مقرونا باسمه على مدى العصور .

بدأ المشروع بأن اعدت وزارة الثقافة كتابا أرسلته إلى منظمة اليونسكو بتاريخ ٦ إبريل سنة ١٩٥٩ ، ضمنته رغبة حكومة الجمهورية العربية المتحدة الحصول على المساعدات العملية والفنية والمادية لإنقاذ آثار بلاد النوبة بحيث تشمل : —

أولا : تنسيق الدراسات والأبحاث الخاصة بآثار بلاد النوبة السفلى بإيفاد بعثات للقيام بأعمال الحفر والتنقيب العلمى لتكشف عن المناطق الأثرية التى لم ينكشف عنها بعد ، وخاصة فى المستويات التى تعلو ١٢١ مترا فوق سطح البحر .

ثانيا : تصوير بــلاد النوبة بالطريقة الحديثة المعروفة بالتصوير « الفوتوجرامترى » لعمل خرائط للمنطقة المهددة بالغرق .

ثالثا : استكمال تسجيل المعابد والمقاصير والمقابر المنقوشة ، والنقوش المحفورة على سطوح الصخر على طول الشاطىء فى بلاد النوبة السفلى .

رابعا : فك أحجار المعابد المشيّدة ، ونقلها خارج المنطقة المهددة ، ثم العمل على إيجاد مكان يعاد تشييدها فيه .

خامسا : العمل على إيجاد طريقة لإنقاذ المعابد الكثيرة المنقورة فى باطن الصخر .

* * *

وقد رحّب المجلس التنفيذى لمنظمة اليونسكو بطلب الجمهورية العربية المتحدة وذلك عند عرض هذا الطلب فى دورته الرابعة والخمسين فى شهر يولية من عام ١٩٥٩ ، وقرر المجلس دعوة مؤتمر على مستوى عالمى يتكون من عدد من الخبراء المتخصصين فى شئون الآثار ، والهندسة ، وبناء السدود العالية ، لزيارة بلاد النوبة ودراسة مشروع إنقاذ آثارها ووضع تقرير مفصل يتضمن برنامجا لخطة دولية يمكن تنفيذها ، على أن يقدّم

هذا التقرير للمجلس ويعرض فى دورته الخامسة والخمسين التى تعقد فى شهرى نوفبر وديسمبر من عام ١٩٥٩ .

وبالفعل تقابل أعضاء هذا المؤتمر فى أول أكتوبر سنة ١٩٥٩ فى القاهرة . وقد ضم ثلاثة عشر عالما وخبيرا من ثمانى دول من بينهم علماء الجمهورية العربية المتحدة ، ولقد القى كلمة الافتتاح السيد وزير الثقافة والإرشاد القومى ومن بين ما قال :

« إذا كنا فى الجمهورية العربية المتحدة نقيم مشروع السد العالى فى سبيل رفاهية مواطنينا فإننا حريصون فى الوقت نفسه على أن ننقذ آثار بلاد النوبة ، حمايةً لتراث إنسانى قديم ، وخدمة لعناصر الحضارة الإنسانية » .

وأذيع فى هذه الجلسة أول تصريح لحكومة الجمهورية العربية المتحدة ، يحدد مطالبها والمنح التى سوف تمنحها للدول التى ستساهم في حماية هذه الآثار ، فقد وعدت :

١ — بمنح كل بعثة تقوم بالتنقيب فى بلاد النوبة ٥٠ ٪ على الأقل من الآثار المنقولة التى تعثر عليها .

٢ — فتح مجال البحث والتنقيب للبعثات الأثرية فى المناطق الموجودة بشمال الوادى .

٣ — منح بعض القطع الأثرية للدول التى تساهم بعروض كبيرة في مشروع الإنقاذ.

٤ — منح بعض معابد بلاد النوبة للدول التى تساهم بمبالغ كبيرة فى مشروع الإنقاذ، وهذه المعابد هى : تافه — دابود — دندور — الليسيه — الدّر.

وسافر أعضاء المؤتمر في الفترة من ٢ إلى ٩ أكتوبر عام ١٩٥٩ إلى بلاد النوبة وتفقدوا آثارها وناقشوا معضلاتها، وواصلوا اجتماعاتهم بعد ذلك بالقاهرة واختتموها بالتوصيات الآتية : —

اولا : يجب الكشف عن جميع المناطق التى تحوى آثارا مدفونة فى باطنها، والتى تقع فوق مستوي ١٢١ مترا (أعلى مستوى تصل إليه مياه خزان أسوان حاليا)، مع الاستعانة بالخرائط الفوتوجرامترية التى ستساعد ولاشك على تحديد هذه المواقع، التى لا يزال بعضها مجهولا لدينا، وأوصت اللجنة بالاهتمام بآثار العصرين القبطي والإسلامى.

ثانيا : أوصى المؤتمر مصلحة الآثار بضرورة إرسال بعثتين لمسح بلاد النوبة كلها متراً متراً لتعيين المناطق الأثرية غير المعروفة، على أن تهتم هاتان البعثتان بالبحث عن مواقع

العصر الحجرى القديم والعصر الحجرى الحديث لتحديد نشاط وحضارة الإنسان الأول الذى عاش فى بلاد النوبة فى العصور الأولى .

ثالثا : يجب حماية المعابد الأثرية فى أماكنها إذا كان هناك طريقة لتحقيق هذا ، فإذا ما استحال الأمر وجب أن تنقل وتشيد فى واحتين ، أوصى المؤتمر بالعناية بأمرها ؛ إذ ستكون الواحة الأولى فى منطقة « كلابشه » والثانية فى منطقة « أبو سنبل » ، وتوزيع هذه المعابد عليهما .

وتعرض المؤتمر للمشروعات الكثيرة التى قدمت له لحماية معبدى « أبو سنبل » ، ومن أهم هذه المشروعات :

(ا) رفع المعبدين والصخور المحيطة بهما إلى ما فوق التل الصخرى ، وقدم هـذا المشروع الأستاذ الإيطالى « جازولا » .

(ب) إقامة سد خرسانى أمام كل معبد من المعبدين .

(حـ) إقامة سد خرسانى أمام المعبدين .

(ى) إقامة سد ترابى حول المعبدين .

(هـ) تحويل مجرى النيل جنوب وادى حلفا وجعله

يصب فى المجرى الحالى شمالى « أبو سمبل » وترك المعبدين فى مكانهما دون اى حماية .

ودارت مناقشة طويلة حول هذه المشروعات، وأقر الخبراء المشروع الخاص بإقامة سد ترابى حول المعبدين على بعد ٣٠٠ متر من واجهتيهما ويبلغ طوله ٧٠٠ متر ، إذ أن هذا المشروع سيحافظ عليهما فى مكانيهما ويحتفظ لهما بجمالهما ، خاصة ولأن الظاهرة الفريدة التى تميز بهـا المعبد الـكبير من دخول أشعة الشمس المبـكرة إلى قدس الأقداس به ، هذه الظاهرة ستبقى ولو أن موعد دخول الأشعة سيتأخر حوالى الساعتين بعد الشروق .

أما فيما يتعلق بمعابد جزيرة « فيلة » فقد بحث المؤتمر ثلاثة مشروعات قُدمت إليه بهذا الصدد وهى : —

(ا) بناء حائط من الخرسانة يبلغ ارتفاعه خمسة أمتار حول الجزيرة نفسها .

(ب) فك المعابد ، ثم رفع مستوى الجزيرة من ستة أمتار إلى ثمانية أمتار وإعادة تشييد المعابد فوق الجزيرة .

(ح) بناء سد صخرى ترابى يربط الطرف الشمالى لجزيرة

بجه المجاورة لجزيرة فيلة مع الشاطئ الأيمن للنيل فى نقطة يكون قاع النيل فيها صخريا ، ثم يمد هذا السد حتى جزيرة فيلة نفسها ، وبذلك يتحول تيار النيل عن الجزيرة بمعابدها .
ويمتاز هذا المشروع الذى قدمه المهندس المصرى عثمان رستم بأنه يحفظ الجزيرة بعيدة عن المياه ويرجعها إلى جمالها ، بخاصة أنه ستتكون حولها بحيرة صناعية على منسوب الجزيرة نفسها ؛ هذا ، غير الفوز بما يزيد على ٦٠٠ فدان يمكن زراعتها واستغلالها .

وأقر الخبراء المشروع الأخير .

* * *

لقد كان للتقرير الذى وضعه مؤتمر الخبراء السالف الذكر أثر طيب عندما عرض على المجلس التنفيذي لليونسكو في دورته الخامسة والخمسين خلال شهرى نوفمبر وديسمبر من عام ١٩٥٩ ؛ إذ تحمس ممثلو الدول المختلفة فى هذا المجلس لفكرة الإنقاذ وعبّروا عن مشاعرهم النبيلة نحو هذا المشروع وطالبوا ببذل أقصى جهد لتنفيذ ما جاء فى التقرير المعروض عليهم ، وانتهى المجلس إلى قرار جماعى أوصى فيه بتوجيه نداء دولى عالمى

إلى المعاهد المعنيَّة بالدراسات الأثرية ، وإلى السلطات الرسمية والمؤسسات الكبرى والبيوت المالية ، بل وللرأى العالمى عامة ؛ وذلك لتقديم المساعدات المالية لتنفيذ هذا المشروع الضخم . كما أوصى المجلس بتشكيل لجان قومية من الدول الأعضاء لشحذ الهمم وحث الدول للمساهمة فى اعمال الإنقاذ ، هذا فضلا عن التوصية بتشكيل لجان دولية لرعاية المشروع وتخويل المدير العام لليونسكو بأن يوجه نداءً باسم المنظمة إلى العالم أجمع لإنقاذ آثار بلاد النوبة ، وخوّله كذلك تلقّى المساعدات والعروض التى تقدم من الدول والمؤسسات والهيئات والأفراد لهذا الغرض .

* * *

لقد كانت جلسة المجلس التنفيذى مظاهرة تموج بالعواطف النبيلة والأحاسيس الطيِّبة نحو التراث العالمى الذى خلّفه لنا المصريون القدماء فى بلاد النوبة ، وحدثت بعدها عدة اتصالات لاستكمال الخطوات التى كان لابد من اتخاذها قبل توجيه النداء العالمى وتشمل هذه الخطوات :—

١ — تشكيل لجنة استشارية دولية للإشراف على مشروع إنقاذ بلاد النوبة ، ولقد أصدر السيد وزير الثقافة والإرشاد

القومى القرار الوزارى بتشكيلها فى أول فبراير سنة ١٩٦٠ على أن تتكون من اثنى عشر عضوا من بينهم ثمانية أعضاء، يمثلون نخبة ممتازة من العلماء فى الخارج وأربعة من علماء الجمهورية العربية المتحدة.

٢ — تشكيل لجنة الشرف التى ستتولى الحملة الدولية لإنقاذ آثار بلاد النوبة.

٣ — تشكيل لجنة العمل التى ستتولى تنفيذ نتائج الحملة الدولية التى ستتقدم بها لجنة الشرف.

* * *

وفى الثامن من شهر مارس عام ١٩٦٠، أقيم فى بناء منظمة اليونسكو بباريس حفل تاريخى شهده نخبة بارزة من أهم الشخصيات التى تعمل فى المجالات الدولية، وقام المندوب الدائم للجمهورية العربية المتحدة بتلاوة الرسالة التاريخية التى وجهها السيد الرئيس جمال عبد الناصر بمناسبة قيام السيد المدير العام لمنظمة اليونسكو بتوجيه ندائه العالمى لحض الدول على المساهمة فى مشروع إنقاذ آثار بلاد النوبة. وها نحن أولاء نثبت رسالة السيد الرئيس جمال عبد الناصر:

« يسرني أن أحيي منظمة اليونسكو ، بمناسبة الاجتماع الذى ينعقد اليوم للنظر في توجيه النداء الدولى ، بشان إنقاذ آثار بلاد النوبة .

ولأن كانت التزامات التعمير ، والعمل من أجل الرخاء الإنسانى قد اقتضت تنفيذ مشروع السد العالى على النيل ، فإن هذه الالتزامات ، لم تمنعنا من التفكير فى إنقاذ جزء من أهم ما ورثناه من تراثنا . وماتراثنا إلا جزء متواضع من التراث الإنسانى الكبير .

والذى لا أشك فيه ، أن حرصنا على التراث الإنسانى ، راجع إلى مايربط الأجيال من صلات ، ويشدُّ بعضها إلى بعض بخيط خفى لايكاد يرى ، ولكنه ينبض فى اعماقنا نبضا حيا متصلاً لاينقطع .وهذا هو السر فيما حققته الإنسانية من تقدم ، تحفظ كرامتها وكبرياءها من الجمود .

والإنسانية فى هذا ، وحدة متكاملة ، لايستطيع بعضها أن يستغنى عن بعض ولا أن ينزوى ، ولا أن ينعزل .

لهذا فقد لجانا إلى هذه المنظمة الدولية ، لتنادى دول العالم جميعاً لإنقاذ هذا الجزء من حضارة الإنسان .

وإنا لمطمئنون إلى أن ما فى ضمير الإنسان من حياة ،

وما فى وجدانه من انفعال وما فى إرادته من طاقة . لو وجهت نحو الخير لتحقق هذا الخير .

وقد بدا فيما أعلنته حكومة الجمهورية العربية المتحدة عن هذا المشروع ، أنها تستهدف دفع الطاقات الحية ، إلى مزيد من التعاون الدولى فى ميدان ثقافى جليل ، شاءت المصادفات أن يقع فى وادى النيل .

ولعلها تصبح تجربة ناجحة ، من تجارب جيل يعيش فى عصر الأمم المتحدة ، ويحاول أن يجعل من ميثاقها حقيقة ، وعقيدة ، وإيمانا يؤكد الثقة فى تعاون الإنسان ، ويحرص على اتصال المدنيات والحضارات ، وإن تباينت البيئات ، أو اختلفت العصور .

ويوم يكتب لهذا المشروع النجاح ، سيكون لكم ولكل جهد بذل ، ولكل عقل فكر . . . سيكون لكل حكومة ، أو هيئة عامة أو خاصة ، أو مؤسسة ، أو شخص ، فضل فى العمل على تأييد الثقة فى إمكان قيام تعاون إنسانى مثمر بين أمم الأرض جميعا فى سبيل مجتمع إنسانى يعرف أهدافه ، ويعرف الطريق إلى تحقيقها » .

وألقى المدير العام لمنظمة اليونسكو الدكتور « فيتورينو

فيرونيز » نداءه الدولى الذى جاء فيه : —

« بدأ العمل فى بناء السد العالى الذى سيحوّل وادى النيل الأوسط إلى بحيرة واسعة فى خلال خمس سنوات مما يهدّد بالغرق أبنية عظيمة تعد من أروع المنشآت المعمارية فى العالم ، وسيبعث بناءُ السد الخصبَ فى مساحات مترامية الأطراف من الصحراء ، ولكن يبدو أن توفير حقول جديدة للزراعة ومنابع ضخمة للقوى التى ستغذى مصانع المستقبل سوف يكلفنا ثمنا باهظا .

وليس من السهل الاختيار بين تراث الماضى ورفاهية شعب يعيش فى ظل هذا التراث الذى يعد من أعظم ماخلفه التاريخ .. بين المعابد والمحاصيل . وأنا شخصيا أشعر بالإشفاق على أى رجل يمكنه أن يقدم على هذا الاختيار دون أن يشعر بالأسى ، كما أنى أشفق على إنسان يمكنه أن يتخذ قراراً بهذا الشأن ثم يتحمل تبعة قرراه أياً كان دون الشعور بالأسف .

لهذا لم يكن غريباً أن تتوجه حكومة الجمهورية العربية المتحدة وحكومة الجمهورية السودانية إلى منظمة اليونسكو ، تطلبان محاولة إنقاذ الآثار المهددة . وتلك الآثار التى ربما تضيع فى غد قريب ليست ملكا للبلدين المؤتمنين عليها فقط ، بل هى

ملك للعالم كله، وللعالم الحق كل الحق فى ضمان بقائها . فهى جزء من تراث مشترك كالتراث الذى يضم رسالة «سقراط» ، وصور «أجنته» الحائطية وجدران «أوكسمال» ، بل وسيمفونيات «بيتهوفن» . ولذلك فإن هذه الكنوز ذات القيمة العالمية ، يجب على العالم أجمع أن يقوم بحمايتها .

وفضلا عن ذلك ، فإن الأمر ليس مجرد إنقاذ شىء مهدد بالضياع ، بل هو أيضاً اكتشاف ثروة لاتزال خَفِيَّة ، وإخراجها إلى النور ، فهو أمر يستمتع به الجميع . وبذلك نرى أن عهداً جديدا قد فُتح للتقدم الرائع والثراء الكبير فى ميدان الدراسات المصرية القديمة ، وبدلا من أن يحرم العالم من جزء من روائعه الفنية فسوف يعود الأمل للإنسانية بأن تكتشف روائع أخرى لازالت مطمورة ومجهولة حتى اليوم .

إن هذه القضية النبيلة تستحق منا استجابة لاتقل عنها حزما ونبلا ، ومن أجل ذلك :

فإنى أوجه ، بكل ثقة ، الدعوة إلى الحكومات ، والمعاهد ، والمؤسسات العامة والخاصة ، وإلى الرجال المخلصين فى كل مكان للإسهام فى إنجاح هذه المهمة التى لم يسبق لها مثيل فى التاريخ ، كما أدعو إلى تقديم الخدمات .

وأخيراً . . . « مصر هبة النيل » ، وهى جملة إغريقية قديمة انتشرت وتعلمها عدد لا حصر له من الطلاب . فعلى شعوب العالم أجمع ان تتحد اليوم لكن لا يطوى النيل فى قاعه ، بسبب المشاريع البناءة التى ترمى إلى زيادة الخصب ومنابع القوى ، أن يطوى العجائب التى ورثناها نحن الأجيال الحاضرة من أجيال طوتها الدهور منذ أزمنة سحيقة » .

* * *

ومنذ ذلك الحين أخذت صحف العالم ومجلاته وإذاعاته تفيض فى الحديث عن آثار بلاد النوبة ، وأصبحت صور تلك المعابد تملأ صفحات الصحف العالمية وتجذب أنظار القراء التى تفيض قلوبهم بحب التراث المصري الذى خلفه أهل وادى النيل منذ أول العصور ؛ وتكونت اللجان القوميه فى كثير من بلاد العالم وذلك لحث الناس على المساهمة فى إنقاذ هدا التراث . وفى نوفمبر من عام ١٩٦٠ أصدر الرئيس جمال عبد الناصر قراراً بتشكيل اللجنة القومية للجمهورية العربية المتحدة، تحت رئاسة السيد نائب الرئيس عبد اللطيف البغدادى .

الجهود التى بذلتها
الجمهورية العربية المتحدة

لم تقف حكومتنا مكتوفة اليدين ، منذ أن نقلت معضلة إنقاذ آثار بلاد النوبة من الحيز المحلى إلى الحيز الدولى ، بل قامت ببذل جهود جبارة فى القيام بواجبها نحو هذا المشروع معتمدة فى ذلك على إمكانياتها الفنية والمادية ، ولم تنتظر حتى يأتيها العون الخارجى ، إذ أن الأيام تمر مسرعة والمشروع الضخم يسير قدما نحو التنفيذ، ولم يبق على انتهائه سوى بضع سنوات ؛ وفيما يلى عرض موجز لهذه الجهود : —

أولا : اعتمدت مصلحة الآثار فى ميزانيتها لعام ١٩٥٩ — ١٩٦٠ مبلغ ١٠٠ ألف جنيه لمواجهة أعمال الترميم لبعض المعابد المهددة بالتهدم وذلك قبل رفعها ، وللصرف منه على انشاء وحدات نهرية من جرارات وعائمات لازمة لانتقال البعثات العلمية المختلفة ولسكنها فى مناطق بلاد النوبة .

ثانياً : اعتمدت مصلحة الآثار فى ميزانيتها لعام ١٩٦٠ — ١٩٦١ خصما على ميزانية السد العالى مبلغ ٢٠٠ ألف جنيه ، وذلك

لمواجهة أعمال نقل بعض المعابد المشيَّدة ولتكملة المهمات المختلفة اللازمة لمشروع إنقاذ بلاد النوبة .

ثالثاً : اعتمدت مصلحة الآثار فى ميزانيتها الخاصة لعام ١٩٦٠ — ١٩٦١ مبلغ ٥٠ ألف جنيه للصرف منه على أعمال التنقيب وأعمال البحث العلمى الخاص بمشروع إنقاذ آثار بلاد النوبة .

رابعاً : زادت اعتمادات مركز تسجيل الآثار فى ميزانية عام ١٩٥٠ — ١٩٦١ إلى مبلغ ٦٠ ألف جنيه للصرف منه على أعمال المركز فى تسجيل معابد بلاد النوبة .

خامساً : رصدت حكومة الجمهورية العربية المتحدة مبلغ ثلاثة ملايين ونصف المليون فى ميزانية السد العالى تصرف بمعدل نصف مليون جنية فى السنوات ابتداء من ١٩٦٠ / ٦١ إلى ١٩٦٧ / ٦٨ على مشروع إنقاذ معبدى « أبو سمبل » .

سادساً : أرسلت حكومة الجمهورية العربية المتحدة مجموعة كبيرة من التحف القديمة التى تمثل أهم العصور الحضارية : فرعونية ، وقبطية وإسلامية ، على هيئة معرض متجول أطلقت عليه إسم : « معرض الخمسين قرن لتطور الفن المصرى » ،

ولقد عرضت هذه التحف فى بلجيكا ، ثم فى هولندا ، ثم فى سويسرا ، فألمانيا .

سابعا : أرسلت حكومة الجمهورية العربية المتحدة مجموعة من التحف النادرة من آثار توت عنخ أمون ، لتعرض فى رحلة طويلة فى متاحف الولايات المتحدة .

ثامناً : دعت وزارة الثقافة والإرشاد القومي مجموعة من أدباء وعلماء العالم وأعضاء السلك السياسى ورجال الإذاعة والصحافة والتليفزيون ، إلى رحلة لمشاهدة آثار بلاد النوبة حتى يروا بأنفسهم هذا التراث الخالد وأهمية تنفيذ مشروع إنقـــاذه .

تاسعاً : اعتمـــدت وزارة الثقافة والإرشاد القومى مبلغ ٦ آلاف جنيه لتصوير فيلم ملون لآثار بلاد النوبة وتوزيعه على الهيئات المعنيـة بالأمر ، ولقد تم هذا الفيلم ونجحت فكرته نجاحا كبيرا .

عاشراً : نشرت وزارة الثقافة والإرشاد القومى كتابا علميا مفصلا عن بلاد النوبة عالج فيه نخبة من العلماء تاريخ وجغرافية

وآثار وفنون هذه المنطقه ، وترجم هذا الكتاب إلى اللغتين الفرنسية والإنجليزية .

حادى عشر : قام مركز «تسجيل الآثار» بالتسجيل العلمى الدقيق لمعظم معابد بلاد النوبة مثل معبد تافا ، معبد دابور ، معبد قرطاسى ، وأخذ يعمل جاهدا منذ العام الماضى فى إتمام تسجيل معبد جرف حسين ومعبدى أبو سمبل .

ثانى عشر : قامت مصلحة الآثار بنقل المعابد الآتية إلى جزر إلفانتين وهى: تافا ، دابود ، قرطاسى .

ثالث عشر : قامت مصلحة الآثار باعمال الحفر والتنقيب فى المناطق الآتيه : بلانه ، قسطل ، معبد عمدا ، معبد دابود ، معبد قرطاسى .

رابع عشر : قامت جامعة القاهرة بإرسال بعثة كبيرة للقيام بالحفر والتنقيب فى منطقة عينيه (العاصمة القديمة) وانجزت حتى الآن ثلاثة مواسم وفقت فيهما إلى العثور على آثار منقولة عديدة كما وفقت إلى نتائج تاريخيه هامه .

خامس عشر : وافقت حكومة الجمهورية العربية المتحدة على إعفاء المبالغ التى تقدمها الهيئات المختلفة من الضرائب ،

كما وافقت على إعفاء المرتبات والمكافآت التى يحصل عليها الفنيون من مبالغ تبرعت بها بعض الهيئات الخارجية ، من ضريبة الدخل والضرائب العادية .

سادس عشر : أصدرت حكومة الجمهورية العربية المتحدة طابعى بريد تذكاريين أولهما صدر فى عام ١٩٥٩ بصورة لمعبد « أبو سمبل » الكبير ، والثانى فى نوفمبر ١٩٦٠ بصورة لمعبد « أبو سمبل » الصغير ؛ وظهر أخيرا عام ١٩٦١ طابع جديد لمعابد فيلة .



الجهود التى بذلتها حتى الآن

الجهات الأجنبية

منذ أن وجّه المدير العام لمنظمة اليونسكو الدكتور « فيتورينو ڤيرونيز » نداءه إلى العالم ، سارعت كثير من الهيئات العلمية والفنية عارضة معونتها للمشاركه فى الأعمال المختلفة التى يحتاج إليها مشروع الإنقاذ . ولقد شهدت بلاد النوبة السفلى فى صيف ١٩٦٠ وشتاء ١٩٦٠ — ١٩٦١ عددا كبيرا من البعثات العلمية قام بعضها بأعمال الحفر والبعض الآخر بأعمال التسجيل .

فى صيف ١٩٦٠ قامت بعثة المعهد الجغرافى القومى بباريس بتسجيل المنطقة الواقعة بين « فيلة » و « وادى السبوع » ، كما قامت بعثة من علماء فرنسيين وعرب بنقل النقوش اليونانية واللاتينية فى معابد جزيرة « فيلة » وفى منطقة « قرطاسى » .

وفى شتاء ١٩٦٠ — ١٩٦١ اشتركت البعثات الأجنبية الآتية فى أعمال الحفر والتسجيل : —

١ — بعثة المعهد الشرقى لجامعة شيكاجو .

٢ — بعثة جامعتى بنسلفانيا وييل .

٣ — بعثة المعهد السويسرى للآثار بالقاهرة .

٤ — بعثة جامعة ميلانو .

٥ — بعثة جامعة مدريد .

٦ — بعثة المعهد الألمانى للآثار بالقاهرة .

٧ — بعثة المعهد الفرنسى للدراسات الشرقية بالقاهرة .

٨ — بعثة جامعة ستراسبورج .

٩ — بعثة جامعة ڤيينّا .

١٠ — بعثة جمعية الآثار بلندن .

* * *

هذه كلها بعثات تقوم ببذل العون كاملا فى أعمال الحفر والتسجيل ، وتقوم الجهات المرسلة لهم بالصرف عليها من مبالغ تعتمد لهذا الغرض ، ولكن هناك عروضا أخرى للمساهمة فى عملية نقل المعابد . والدولة الوحيدة التى أنجزت عرضها السخى هى جمهورية ألمانيا الفيدرالية (ألمانيا الغربية) إذ اعتمدت حكومتها مبلغ ثلاثة ملايين ونصف المليون من الماركات الألمانية وذلك لنقل معبد كلابشة وإعادة بنائه فى مكان مرتفع لا تصل إليه مياه السد العالى ، ولقد بدأت

البعثة الخاصة بهذه العملية الضخمة عملها فى صيف عام ١٩٦١ .

وهناك ثلاثة عروض لم يتم حتى الآن الارتباط بها رسميا وهى :

أولا : العرض الذى تقدمت به حكومة الولايات المتحدة لإنقاذ معابد جزيرة « فيلة » ببناء السد الذى سبق لنا شرحه آنفا والذى سيتكلف ٦ ملايين من الدولارات .

ثانيا : العرض الذى تقدمت به حكومة فرنسا بفك أحجار معبد عمدا و نقله إلى مكان آخر يعلو منسوب مياه السد العالى (١٨٠ متر فوق سطح البحر) وإعادة بنائه ثانية .

ثالثا : العرض الذى تقدمت به حكومة الاتحاد السوفيتى بفك أحجار معبد الدكة و نقله إلى مكان آخر يعلو منسوب مياه السد العالى وإعادة بنائه ثانية .

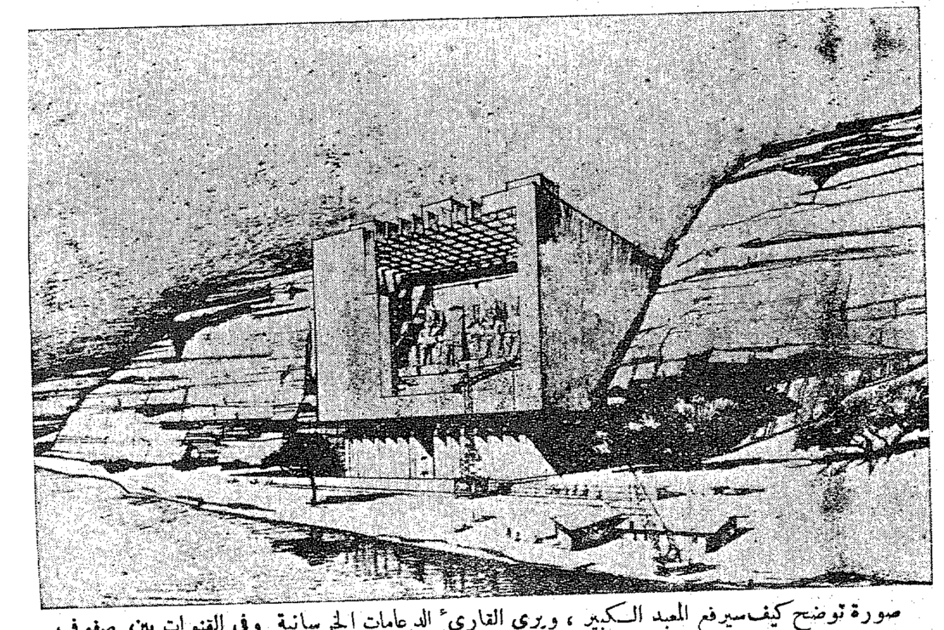
* * *

وواضح مما سبق ذكره أن أعمال الإنقاذ تسير قدما منذ عام ١٩٦٠ . وإننا لنشعر براحة نفس كبيرة نحو أعمال الحفر والتنقيب والتسجيل العلمى ؛ إذ أن اللجنة الاستشارية الدولية قد قسمت هذه الأعمال بين البعثات المختلفة ، ولم تترك مترا واحدا من المنطقة بأ كملها دون أن تعهد به إلى إحدى البعثات

لتقوم بالحفر فيه وتسجيل كل النقوش الأثرية المنقوشة فوق الصخر أو فوق جدران المعبد إذا كان هناك معبد أو نقوش .
ولكن هناك المشكلة الكبرى ، ألا وهى مشكلة إنقاذ المعابد المنقورة فى الصخر،وكذلك المقاصير والهياكل الصغيرة المنقورة فى منطقة الليسيه وقصر ابريم وعنيبة .

وهناك أكثر من اقتراح فى هذا الشأن : الأول وهو الذى تقدم به المسيو جازولا المهندس الإيطالى ويتلخص فى فصل الجدران المنقوشة عن التل الحجرى ونقلها إلى مكان آخر وإعادة بنائها ، والاقتراح الثانى وهو الاكتفاء بعمل نماذج جصّية لهذه الجدران المنقوشة وإعادة بنائها أو حفظهافى متحف كبير .

ولقد قامت مناقشات طويلة حول عملية نشر الجدران المنقوشة ، وهل فى الاستطاعة تنفيذها نظراً لأن طبيعة الحجر الرملى النوبى تجعله هشا سريع التفتت ، ولكن المهندس الايطالى يصر من ناحيته على نجاح فكرته ، ويؤكد أن في الاستطاعة استعمال مناشير دقيقة تقطع الحجر دون إحداث ذبذبات قوية تؤثر على تهشمه وتفتته. ولقد أعدت العدة لإجراء تجربة فى مقبرة « نبذوت » بعنيبة لإثبات صحة مشروعه .



صورة توضح كيف سيرفع المعبد الكبير ، ويرى القارئ الدعامات الخرسانية وفى القنوات بين صفوف هذه الدعامات توضع الروافع الميكانيكية

مشروع إنقاذ معبدى "أبو سنبل"

ليس من شك فى أن معضلة إنقاذ معبدى « أبو سمبل » المنقورين فى التل الحجرى، تعتبر أكثر معضلات إنقاذ آثار بلاد النوبة تعقيدا ، فهذان المعبدان هما أجمل وأروع معابد النوبة ، وليس من السهل علينا ، بل وعلى العالم المتحضر أن يدع هـذا الأثر يضيع ، فهما لا يخصان من شـيدهما فقط ، بل يخصان التراث الثقافى للإنسانية جمعاء ، فعلى مجتمعنا الحاضر أن يحفظ هذا الأثر لأنه رمز خالد لحضارة عظيمة ، ولذلك يجب علينا ألا نتردد فى اتخاذ أى إجراء مهما كان استثنائيا .

وقد سبق لنا أن قلنا إن أكثر من مشروع قد قدم لإنقاذ هذين المعبدين ، وان مؤتمر الخبراء الذى عقد فى أكتوبر عام ١٩٥٩ فضّـل مشروع إقامة سد نصف دائرى حول المعبدين ولـكن المسيو جازولا تمـكن من أن يتقدم بعد ذلك بتفصيلات لمشروعه ، جعلت اللجنة الاستشارية الدولية لإنقاذ بلاد النوبة تعيد النظر فيه .

وفى الاجتماع الذى عقدته اللجنة الاستشارية الدولية فى شهر يناير عام ١٩٦١ بالقاهرة طرح للمناقشة : أى المشروعين

أفضل ، خاصة لأن الأعضاء كانوا قد تسلموا تقريرين مفصلين عن المشروعين ، الأول تقـدمت به شركة من أهم شركات السدود فى العالم وهى شركة « كوين وبلييه » ويهدف مشروعها كما قلنا إلى بناء سد ترابى نصف دائرى يحيط بواجهتى المعبدين بحيث تترك مسافة لا تقل عن ثلاثمائة متر بين الجدار الواقى وبين واجهة المعبد الكبير حتى لا يقف ارتفاع الجدار مانعا وصولَ أشعة الشمس عند شروقها ، إلى قدس الأقداس ، وهذه تعتبر من أهم المميزات التى اشتهر بها هـذا المعبد.
أما المشروع الثانى فهو يهدف إلى رفع المعبد إلى ما فوق مستوى مياه السد العالى ، أى إلى ١٨٠ مترا فوق سطح البحر ، ثم إرسائه على سطح التل الصخرى وإحاطته بكل العناصر الطبيعية التى تحيط به الآن ؛ وتقدّم بهذا المشروع المسيو جازولا ، أستاذ العمارة فى كلية الهندسة بجامعة ميلانو مشتركا مع شركة هندسية عالمية هى شركة « إيتالكونسولت ».

ولما كانت حكومة الجمهورية العربية المتحدة تشعر بجسامة مشروع إنقاذ معبدى «أبو سمبل» وبان الواجب يقتضى استشارة فنية على مستوى عال فى أى المشروعين يفضُل الآخر ، فقد اتفقت مع منظمة اليونسكو على استدعاء لجنة من خبراء عالميين

متخصصين فى الهندسة والجيولوجيا ، واجتمعت هذه اللجنة فى القاهرة ، ثم قامت بزيارة « أبو سمبل » لدراسة المشروعين دراسة مستفيضة ورجعت وقدمت تقريرها إلى اللجنة الاستشارية الدولية .

وهكذا تجمعت أمام اللجنة الاستشارية ثلاثة تقارير ، أحدها ، وهو تقرير اللجنة الفنية السالفة الذكر ، وأوضح فيه الخبراء بتفصيل مشروع الرفع ورفض مشروع السد ، وبعد مناقشات طويلة واستفسارات شتى ، أجمعت اللجنة الاستشارية على الموافقة على مشروع الرفع مع طلب استكمال بعض النواحى الفنية فيه قبل إقراره .

وفى مارس ١٩٦١ عهدت الجمهورية العربية المتحدة إلى لجنة ثلاثية تشكلت من خبراء من النرويج والسويد متخصصين فى شئون الرفع الهيدروليكى وأعمال الإنشاء ، وكيمياء الصخور ، بدراسة النواحى الفنية التى طلبت اللجنة الاستشارية استيضاحها ، ووضع الخبراء الثلاثة تقريرا مسهبا تقدموا به فى ١٠ يونيه ١٩٦١ ، ووضحوا فيه كل النقاط الغامضة .

وفى ٢٠ يونيه ١٩٦١ صدر تصريح السيد الرئيس جمال عبد الناصر الذى جاء فيه :

« لقد عهدت الجمهورية العربية المتحدة إلى اللجان الفنية بدراسة أكفل السبل لضمان سلامة المعبدين ، وتضافرت جهود منظمة اليونسكو مع جهود الجمهورية العربية المتحدة فى هذا السبيل ، وجاءت نتائج دراسة اللجان الفنية تؤيد مشروع الرفع ، وتقرر أن تنفيذه يبعث على الاطمئنان إلى سلامة المعبدين ، ولهذا قررت الجمهورية العربية المتحدة الأخذ بمشروع الرفع حتى تتكفل المحافظة على المعبدين على أكمل وجه ترجوه ويتطلع إليه العالم » .

والأسباب التى دفعت لجنة الخبراء إلى رفض مشروع السد تتلخص فيما يلى : —

(ا) ترى لجنة الخبراء أن هناك عدداً كبيراً من السدود قد شيدت فى كثير من أنحاء العالم ، إلا أنه لم يسبق أن أنشىء سد اضطر مصمموه أن يخضعوا لظروف بيئة بعينها ، كما هو الحال فى هذا السد ، خاصة وأن طبيعة الصخر التى سيقام عليه هذا السد أمام المعبدين ، لن تكون فى صالح المشروع للأسباب الآتية : —

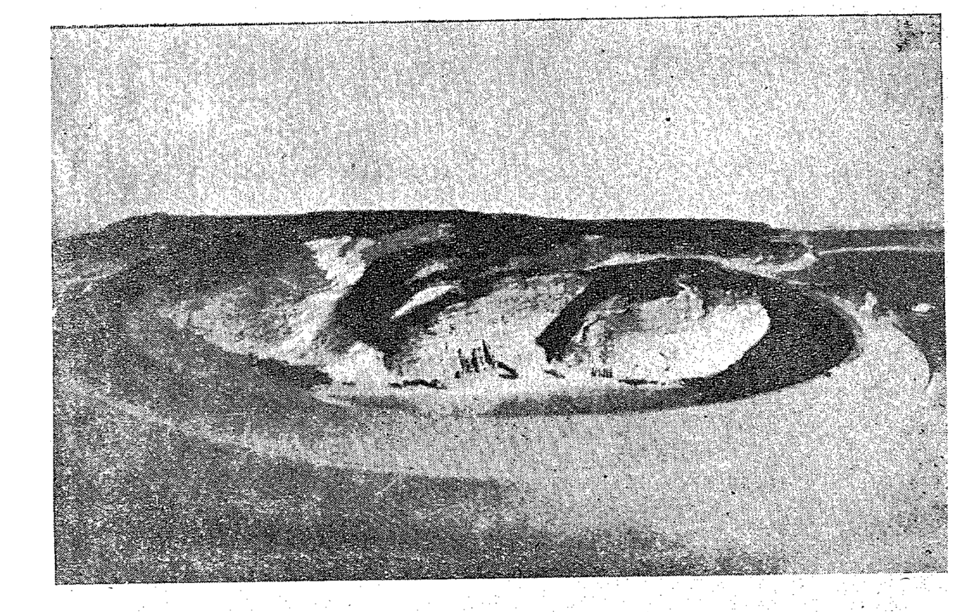
١ — نتيجة لبناء السد سوف يتحول مجرى النهر إلى الشرق ، الأمر الذى سيتسبب عنه تآكل أسفل السد مما سيلزم بناء جسر أو أكثر لتجنب هذا التآكل .

٢ — سيبنى السد فوق طبقة من طمى النيل يبلغ سمكها حوالى ٣٥ متراً بها طبقات من الرمل والحصى تزيد من قابليته لترشيح الماء ، ولذلك يصبح لازما تقوية هذه الطبقات الطميية بحوائط خاصة وهى عملية تكتنفها صعوبات فنية كثيرة .

٣ — الصخور التى ستستعمل لبناء السد صخور رملية تختلف صلابتها واتساع مسامها وبالتالى تختلف قوة تماسكها ولذلك ستتطلب عمليه البناء مجهودات ضخمة لتقليل عملية الرشح .

(ب) نظراً لأن المعبدين سيكونان فى منخفض تحيط به المياه من جوانبه الأربعة ، على ارتفاع ضخم فسوف تتكون به وفى أعماقه كميات كبيرة من الرطوبة ، لاشك تحتاج إلى إحاطة كل من المعبدين بممرات واسعة للتهوية ، وذلك للتخلص من بعض هذه الرطوبة ، ومع ذلك فسوف يتأثر المعبد وخاصة الرسوم والنقوش ، وسوف يحتاج إلى عملية ترميم واسعة النطاق مرة كل خمسة عشر عاما .

(حـ) بالرغم من الاحتياطات التى اتخذتها الشركة ضد تسرب مياه الرشح ، فسوف تتسرب كميات من الماء سواء من السد أو من الصخر حول المعبد ، الأمر الذى استلزم تصميم محطتين كبيرتين لضخ مياه الرشح تعمل إحداهما ليل نهار .



صورة توضح السد المقترح فى مشروع كوين وبلييه ويلاحظ ضخامة السد بالنسبة إلى المعبدين

(ى) إذا حدث لسبب طارىء خارج عن إرادة الأمة وتعطلت هاتان المحطتان فإن المعبد يمتلىء بالمياه ويغرق تماما في ظرف أسبوعين .

(هـ) ومع أن تكاليف هذا المشروع باهظة جداً ، فسوف تتعدى ٨٠ مليون دولار ، فهناك مبلغ كبير تتكلفه الحكومة وهو ١٥٠ ألف جنيه يصرف سنويا على صيانة السد وتشغيل محطتى الضخ .

* * *

ولست أشك فى أن مشروع الرفع يبدو للكثيرين خيالياً إلى درجة دفعت البعض إلى تفضيل مشروع السد ؛ نظراً لأنه من المشروعات التى يمكن تنفيذها بل ونُفذت كثيراً من قبل ، ولو أن تنفيذها لم يكن لحماية أحد المعابد الأثرية . وفيما يلى أعطى القارىء بعض التفاصيل الخاصة بمشروع رفع المعبدين :

١ — تزال الكتل الضخمة من الصخر التى تعلو المعبدين وذلك للتخفيف من الثقل ثم يعاد بناؤها مرة أخرى بعد الرفع .

٢ — يفصل كل من المعبدين من التل الصخرى بوساطة

مناشير كهربائية خاصة تمتاز بانها لا تسبب ذبذبة تؤثر على جدران المعبد وعلى نقوشه .

٣ — يحاط المعبد ، بل يوضع فى صندوق جوانبه من الخرسانة المسلحة يجب أن تكون شديدة الصلابة حتى تتحمل الضغوط العالية .

٤ — تفصل أرضية المعبد من التل الصخرى وذلك على أساس البدء بعمل ممرات واسعة بأسفله توضع فيها قوائم من الخرسانة المسلحة وبعد التأكد من أن القوائم الخرسانية كافية لحمل المعبد والصندوق الذى يغلفه ، تبدأ عمليات نزع الأجزاء الباقية ليتم فصل أرضية المعبد تماما من التل الصخرى .

٥ — توضع روافع ميكانيكية ضخمة أسفل المعبد وفى الممرات التى تتخلل القوائم الخراسانية ، على أن يتم تحريك هذه الروافع (هيدرولوكية) ، وتتصل كل رافعة بلوحة اتصالا إليكترونيا بحيث يخصص لكل منها مصباح صغير يضىء إذا كانت حركة الرافعة عادية ويبقى منطفئاً إذا تعطلت .

٦ — تتحرك هذه الروافع إلى أعلى دفعة واحدة بحيث يبلغ ارتفاع كل دفعة مقدار مليمترين ، وتستمر الدفعات إلى أعلا لتصل إلى ٣٠ سنتمتر وهو أقصى امتداد الروافع إلى أعلى ،

وهو الامتداد الذى نصل إلى أقصاه بعد ١٥٠ دفعة ، على أن تتخلل كل دفعة وأخرى ساعتان .

٧ — يتلو ذلك نزع القوائم الخرسانية التى كانت تحمل المعبد قبـل وضع الروافع الميـكانيـكية وإحلال طبقة من الخرسانة المسلحة بدلا منها ، توضع فوقها إذا ما جئت مجموعات أخرى من الروافع فى صفوف متوازية ، وتبدأ عملية الرفع على النحو السالف الذكر ، وهكذا إلى أن يصل ارتفاع المعبدين إلى ١٨٠ مترا فوق سطح البحر ، أى إلى أن يرتفع المعبد بمقدار ستين مترا فوق مستواه الحالى .

٨ — يعقب ذلك زحزحة كل من المعبدين إلى سطح التل الذى يـكون قد عبّـد وأعد لإقامة المعبدين عليه .

٩ — يعاد تشييد قمة التل الصخرى التى انتزعت فى أول الأمر : يعاد تشييدها فوق المعبدين لإعادتهما إلى نفس البيئة التى كانت تهيمن عليهما من قبل .

١٠ — يتكلف هذا المشروع ما يقرب من ٦٠ مليون دولار ، ولا يحتاج بعد تنفيذه إلى أى تـكاليف للصيانة على الإطلاق .

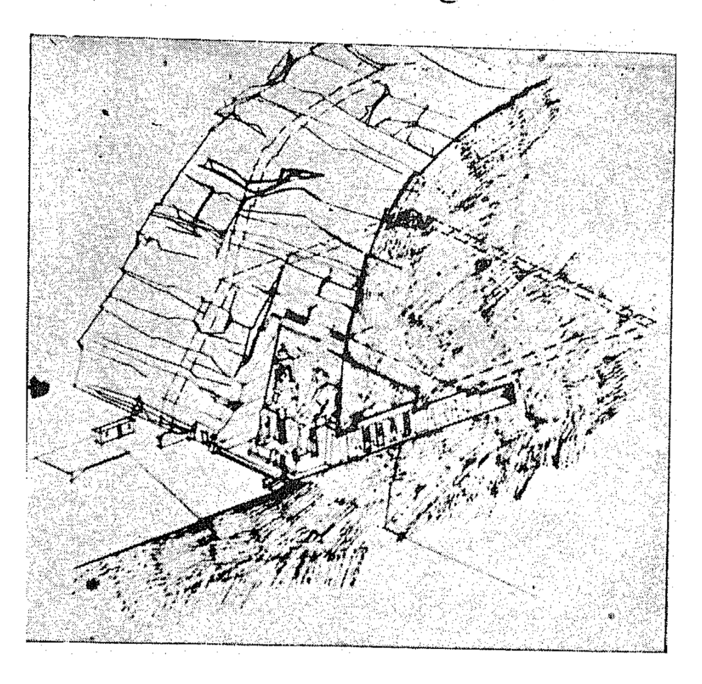
هذه ولا شك أضخم عملية رفع ستتم فى جيلنا الحاضر ،

هذا إلى أن المعبد الكبير بمفرده يزن ٢٥٠ ألف طن ، وأن الصندوق الضخم من الخرسانة الذى سيغلفه يزن ١٠٠ ألف طن، ومن الصعب علينا أن نتخيل رفع مبنى يزن ٣٥٠ ألف طن إلى ارتفاع ٦٠ مترا ، فى حين أن العملية الوحيدة المشابهة لهذه العملية كانت رفع جزء من كنيسة يزن ١٠ آلاف طن إلى ارتفاع لا يزيد على المتر .

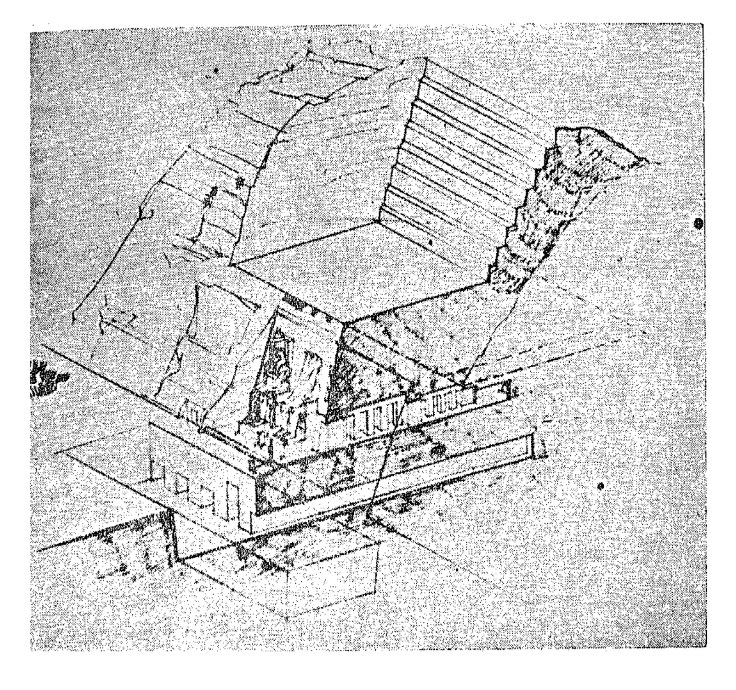
ويجب علينا أن ننوه هنا بأن كل اللجان التى فحصت المشروع الإيطالى حرصت كل الحرص على التأكد من صلاحيته ، ومن أن الضمانات التى ستتخذ من الشركات المنفذة كافية تماما للمحافظة على سلامة المعبدين .



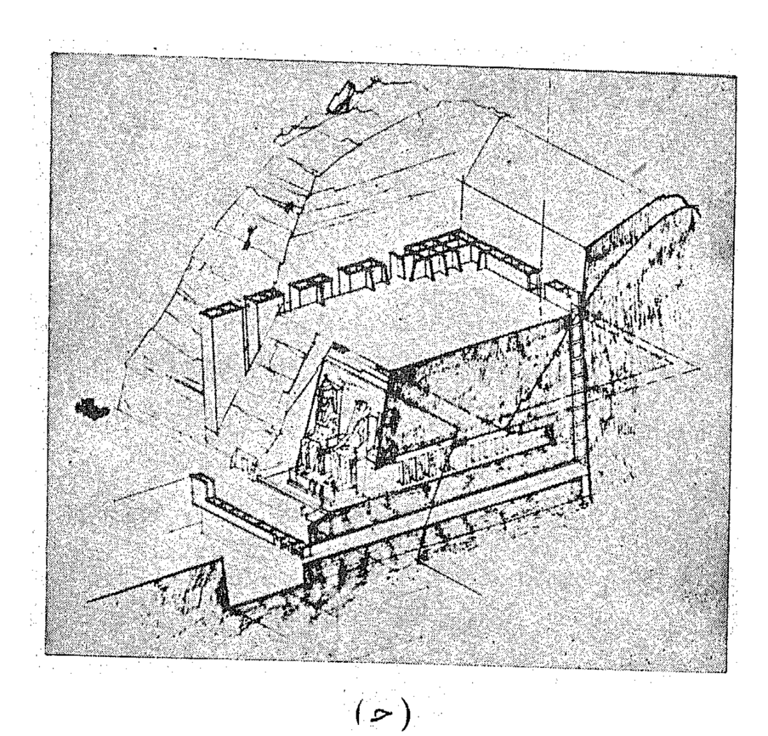
(ا ، ب ، حـ ، د ، هـ) مجموعة من الصور توضح المراحل المختلفة
لرفع المعبد الكبير بأبى سنبل



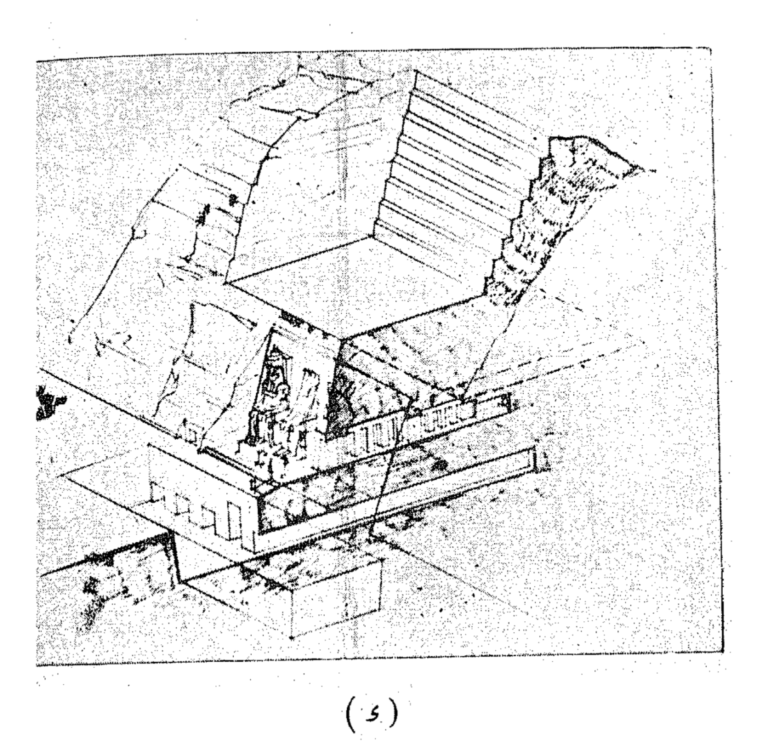
(ا)



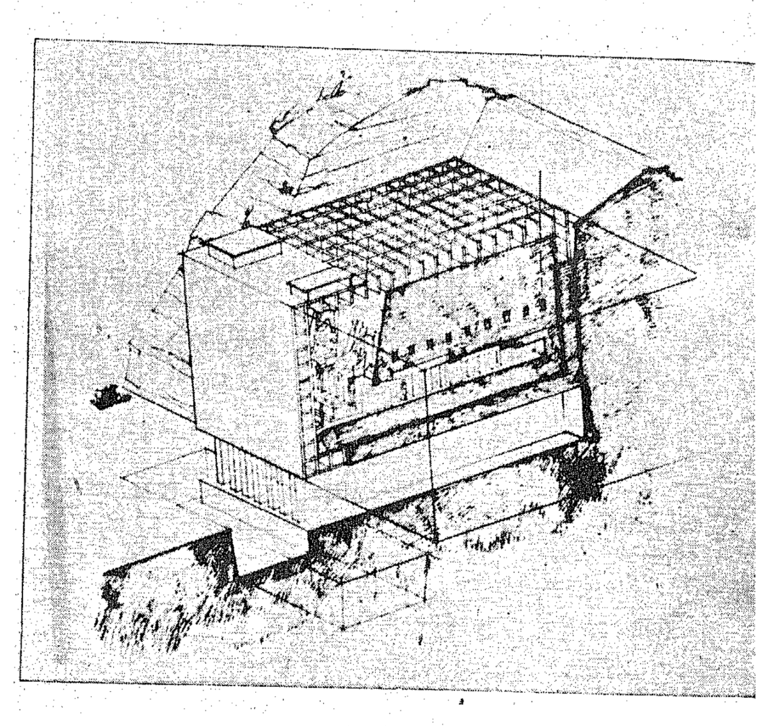
(ب)



(ج)



(د)



(هـ)

خاتمة

وأعود فاذكر أن مشروع إنقاذ آثار بلاد النوبة هو مشروع فذ وكبير ، ليس فقط لأن من بين آثاره معبدى «أبو سمبل» ، بل لأن هذا المشروع يقتضى بحث منطقة ممتدة إلى مايقرب من ٣٥٠ كيلو مترا على ضفتى نهر النيل بحثا دقيقا شاملا . وأعتقد أيضا أن تنفيذ هذا المشروع يحتاج إلى تكتل العالم المتحضر ، وتعاون صادق ماليا وفنياً وعلميا .

والآن وما دامت الدعوة التى أذاعها المدير العام لليونسكو قد بدأت تؤتى ثمارها ، فما هو واجب شعبنا نحو هذا المشروع ؟ .

ليس من شك أن حكومة الجمهورية العربية المتحدة قد أولت المشروع كل اهتمام ورصدت لتنفيذه أكثر مما تتحمله ميزانيتها . ولكن ، هل نقف نحن مكتوفى الأيدى نطلب إلى العالم أجمع أن يشاركنا ولا نحرك نحن أفراد الشعب ساكنا نحو تراثنا القديم الذى إن كنا نعتقد أنه جزء من التراث العالمى ، إلا أنه

أيضا يخصنا نحن بالذات ، لقد كانت هذه الآثار نتيجة لوضع حضارى قام به وأتمه وأخرجه إلى حيز الوجود أولئك الأجداد الذين عاشوا على ارضنا وشربوا من ماء نيلنا وارتبطوا بالوطن الذى نربط به .

ولاشك فى أن أبناء النيل — بعد أن لمسوا هذه الجهود الجبارة التى قامت بها الجمهورية العربية المتحدة والهيئات الأجنبية الأخرى — إلا مبادرون فى الإسهام فى إنقاذ هذا الأثر الحضارى الخالد .



المكتبة الثقافية

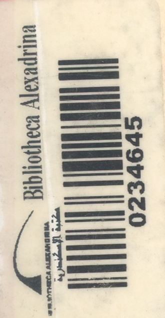
- أول مجموعة من نوعها تحقق اشتراكية الثقافة .
- تيسر لكل قارىء أن يقيم فى بيته مكتبة جامعة تحوى جميع ألوان المعرفة بأقلام أساتذة متخصصين وبقرشين لكل كتاب .
- تصدر مرتين كل شهر . فى أوله وفى منتصفه

الكتاب القادم

غزو الفضاء

للدكتور محمد جمال الدين الفندى

١٥ ابريل ١٩٦٢



دار القلم بالقاهرة

الثمن ٢ ص